البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

تصدرها ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

★ العدد الثالث

★ المجلد الثامن والعشرون

★ ذو القعدة ١٤٠٣هـ

★ أغسطس و سبتمبر ١٩٨٣م

PHONES: 43747-42948

REGD. NO. LW/NP 59

Albaas-el-islami

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW.(INDIA)

صدر حديثاً :

الطريق إلى السعادة والقيادة

للدول والمجتمعات الاسلامية الحرة

كتاب جديد صدر حديثاً لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الندوى يخاطب فيه الدول والمجتمعات الاسلامية الحرة، ويبين لها الطريق إلى السعادة و القيادة .

إن الكتاب مجموعة ١٢/ محاضرة ألقاها سماحة المؤلف فى باكستان بمناسبة حضوره هناك فى المؤتمر الاسلامى الآسيوى الأول الذى عقدته رابطة العالم الاسلامى (بمكة المكرمة) فى يوليو ١٩٧٨م فى كراتشى .

تحدث فيه إلى كل قطاع من الناس من رجالات القانون و العلم و الفكر و خبراء التعليم و التربية و أساتذة الجامعات و طلابها و رجال الحكم و المناصب الرسمية العليا إلى الجماهير العامة من المسلمين المخلصين .

وجه فيه نداء عاماً للانتفاضة الاسلامية التى تترقب يقظة المسلمين وصحوتهم .

و كل ذلك فى أسلوب خطابى جميل ، و تعبير مؤثر جذاب .

الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

ويطلب : من مكتبة دار العلوم التجارية

بندوة العلماء ص . ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوى فى مطبعة ندوة العلماء - لكهنؤ (الهند)

رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

أنشأها

فقيد الدعوة الاسلامية

الأستاذ محمد الحسنى

(رحمه الله تعالى)

فى عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م

العدد الثالث

المجلد الثامن

و العشرون

ذو القعدة ١٤٠٣هـ

أغسطس و سبتمبر

١٩٨٣م

أخى المسلم

أخى فى العقيدة و الدين لا فى التراب و الطين ، أخى على درب الايمان و الجهاد ، و طريق الشوك و القتاد ، أخى فى النضال و الكفاح و التضحية و الفداء ، أخى فى الحق و الصبر فى الوطن و المهجر ، أخى فى مهبط الوحى و منبع الصبح الصادق فى ليل الانسانية الغاسق ، أخى فى زهرة الصحراء و درة الخليج بين الرياح العاتية و الأمواج الثائرة ، أخى فى اليأس و الرجاء و الشدة و الرخاء ، أخى فى الله ! نقدم إليك هذه المجلة سلاحاً لك فى وجه الباطل ، زاداً لك فى طريق الايمان ، عوناً لك على نوائب الحق ، نصراً لك فى صراع النور و الظلام و معركة الجاهلية و الاسلام ، فليكن دورك فيها دور مرابط على الثغر ، حارس للأمانة ، أكثر من دور مشترك رسمى فى مجلة ، أو زبون فى محل تجارة !

[محمد الحسنى - رحمه الله]

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمى الندوى

واضح رشيد الندوى

المراسلات:

البعث الإسلامي

ندوة العلماء ص.ب ٩٣

لكهنؤ — الهند

Albaas - el - Islami

NADWAT- UL - ULAMA

P. O. Box No. 93

LUCKNOW (I N D I A)

أخى القارىء

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١— كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و ارساله إلينا .

٢— ارسال إشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد أو أكثر :

٣— يرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

٤— الاشتراكات السنوية .

فى الهند : ٣٥ روبية ، ثمن النسخة ثلاث روبيات و نصف .

فى العالم العربى ٩ دولارات بالبريد السطحى ، ١٨ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيا و أمريكا : ٩ دولارات بالبريد السطحى ، ٠ دولاراً بالبريد الجوى ،

فى باكستان بنغلاديس و دول شرق آسيا : ٨ دولارات بالبريد السطحى ،

١٨ دولاراً بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I

N A D W A T U L U L A M A

Po. Box. No. 93 L U C K N O W (INDIA)

فى هـــذا العـــدد

الافتتـــاحية :

الدعوة الاسلامية ، وعناصر الاستغلال — سعيد الأعظمى — ٣

★★★★ التوجيـــــه الاسلامى

غاية التعليم و التربيـــة فى العالم الاسلامى و مناهجـــه — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى — ١٠

محاولة جـديدة فى التشكيك فى صحة ما اتفق عليه الشيخان — الأستاذ عبد السلام عبد القادر منديلى — ١٩

★★★★ الدعوة الاسلاميـــــة

الاحداد على الملوك و الزعماء و حكم الشريعـــة فيـــه — سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز — ٢٣

التكافل الاجتماعى فى الاسلام — الدكتور نور محمد غفارى — ٢٥

★★★★ دراســـات و أبحـــاث

مقـدمة المصفى شرح الموطأ — الامام ولى الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوى — ٣٤

آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى — الأستاذ سلمان الحسينى الندوى — ٤٦

الأدب الاسلامى فى تراثنا التاريخى والجغرافى — الأستاذ الدكتور فتحى عثمان — ٥٤

أدب المخضرمين ، فى تاريخ آداب اللغة العربية — سعيد الأعظمى الندوى — ٦٦

التضامن الاسلامى فى العصر الحديث ، ضرورته و وسائـــــله — الدكتورة نادية شريف العمرى — ٨٢

★★★★ صور و أوضـــــاع

ملهاة جديدة فى الحضارة المعاصرة — واضح رشيد الندوى — ٨٨

تركيا بالاسلام ـ وتركيا بدون الاسلام — » » » — ٩٢

★★★★ أخبار اجتماعيـــة و ثقافيـــة

على وفاة الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى — ٩٥

الحركان ، إلى رحمـــة الله — محمد محمود حافظ — ٩٧

حزب التحرير ينعى الشهداء إلى الأمة — حزب التحرير — ٩٨

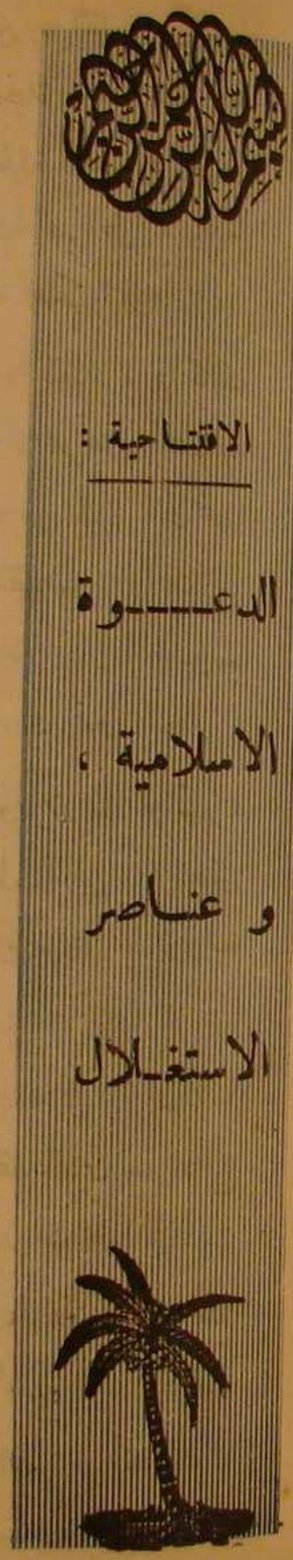

الذين يتابعون سير الدعوة الاسلامية فى العالم ، و يهتمون بالنشاط الدعوى فى مختلف البقاع ليطلعون على اتساع نطاق المجهودات التى تبذل فى هذا الحقل الواسع الكريم ، و قد تواجدت فى العالم المعاصر وسائل ملحوظة استفادت منها الجهات المعنية بالدعوة الاسلامية فى أداء مسئوليتها و نشر رسالتهـا ، و تبليغ كلمتها إلى المجتمعات الانسانية ، و ساعدتها مع ذلك أفكار إسلامية تولاهـا رجال من علماء الاسلام ودعاته ، و هم الذين استطاعوا أن يمدوا العمل الاسلامى بنقاء فكرهم ووضوح أسلوبه ، و وضعوا طاقاتهم الفكرية كلهـا فى خدمـــة الدعوة دون أن يطمعوا فى مقابل مادى حيال ذلك ، أو يفكروا فيما إذا كان لهم عائد عاجل لقاء عملهم ذاك .

و نتيجة لاخلاص هؤلاء المفكرين الاسلاميين لقيت الدعوة فى مساراتها قبولا و إعجاباً من كل جهة ، و تزايد إقبال الجماهير فى كل بلد على دراسة الاسلام كمنهج للحياة والعمل ، و اقتنع عدد كبير من المثقفين غير المسلمين بأن المشكلات المنوعة الكثيرة التى يمر بها الانسان الحديث لها حلول ناجعة فى تعاليم الاسلام ، وخاصة بعد ما فشلت الأنظمـــة الأخرى الكثيرة من وضع البشر ، فى إيجاد حل لها ، والرد عليها بحجة الاقتناع و الثقة ، و قد اهتدى عدد وجيه من غير المسلمين إلى الاسلام بفضل هذا الاقتناع ، كما حدث فى اليـابان ، و فى بعض الربوع الأوروبيـة و الأفريقية ، حيث كانت الدعوة الاسلامية نشيطة تبعث الأمل فى قلوب التائهين ، و المنكوبين بالنظم الجائرة و العائشين تحت نير الظلم و العبودية .

أثمرت مجهودات الدعاة على جميع المستويات ، وعم فى المجتمعات كلها شعور بضرورة الدين ، وخاصة بعد ما فشا القلق و التذمر من

الحياة كنتيجة للغزو الحضارى المادى الذى سلب من الانسان ما يطمئن به القلب وكدس له من المرافق الصناعية والحضارية ما نما فى نفسه مقتاً وكراهية للحياة وتركه مجرد آلة صماء خاضعة أمام الزر الكهربائى ، ولكن الدين فسر له قيمة الحياة وبين له طريق السعادة و الشقاء ، وأوضح له سبيل الجنة و النار ، « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

و لما كانت الدعوة الاسلامية طريقها مفروشة بالشوك و القتاد ، و كانت تتطلب تضحيات جساماً فى سبيلها ، و تحمل المتاعب فى مسيرتها ، تعرض أصحاب الدعوة دائماً لكل شدة و بلاء ، و كانو قد هيأوا نفوسهم لذلك من قبل ، وضحوا بكل ما أمكنهم من النفس والمال فى سبيل الله ، ففتح الله لهم القلوب ، وأعد لهم من الوسائل والامكانيات ما ساعدهم فى التوصل إلى الغاية المنشودة ، و إذا بصوتهم ينفذ إلى القلوب ، و يصل إلى أبعد الشعوب ، ويشق الصخور ، و يعبر البحار ، و القفار ، و يتجمع حولهم عالم من الملبين لدعوتهم و المنضوين إلى لوائهم ، ومن العاملين معهم فى إعلاء كلمة الله ، وتبليغ رسالة الاسلام إلى الناس ، وتتحقق نبوءة القرآن الكريم « و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، أولئك هم المفلحون » .

لا داعى إلى أن نتوغل فى تاريخ الدعوة الاسلامية القديم ، بل و إن لنا كفاية فى تاريخ الدعاة الحاضر ، الذى سجل لهم حكمة الدعوة وفقه الدين مع دافع التفانى والشهادة فى سبيل إعلاء كلمة الله ، لقد كانوا عاهدوا الله أن ينجحوا فى ذلك أو يموتوا دونه ، فلم يرضوا بأى قيمة مادية إزاء عملهم . و إنما عاشوا فى تطلع مستمر و مخلص نحو ما يكتب الله لهم من أجر حسن فى الآخرة ، و يكرمهم بالدرجات العالية فيها ، و فى مثل هذه الدوافع الطيبة تربى أتباعهم و أنصارهم ، فكان هدفهم من وراء ذلك العمل الدعوى الذى قاموا به أن يسعدوا برضا الله و يوفقوا إلى طاعة الله و طاعة الرسول ﷺ فيستحقوا الفوز العظيم الذى وعدهم

به الله فقال « و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزاً عظيماً » .

وعلى دربهم سار رجال الدعوة إلى الله ، فكانوا سعداء يوم آلوا على أنفسهم أن لا يألوا جهداً فى أداء مسئوليتهم نحو ما اختار الله لهم من منصب الدعوة وخدمة الاسلام ، والقيام بالعمل المخلص الذى يتولى السعادة والنجاح فى الدين و الدنيا على السواء « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .

وقدر الله سبحانه أن تتسع رقعة الدعوة الاسلامية و يتزايد الاهتمام بها على مستوى الدول و الشعوب بل على المستوى العالمى حيث إن كل دولة قامت فيها مراكز لدراسة الاسلام ونشر الدعوة فى القطاعات الرسمية والشعبية ، وفى الجامعات و المؤسسات العلمية ، و قد تفردت أوربا وحدها بالنشاط الكبير فى هذا المجال ، و تأسست فيها جمعيات و مراكز و مؤسسات و مدارس إسلامية كثيرة لا يأتى عليها الحصر ، و كذلك القارات الأفريقية و الأمريكية والآسيوية تميزت فى عالمنا الحاضر ، بوجود الوسائل و المرافق الواسعة لدراسة الاسلام و تبليغ رسالته ، و نشر دعوته فى المجتمعات التى تعيش فيها .

و لكن بدأت الدعوة الاسلامية مع اتساع نطاقها و عملها تواجه انتقاص روح الاخلاص والتفانى فى العاملين لها ، و جعلت تتقلص ظلال الاستقامة والطاعة فى قلوب أهلها وتحل محلها ظلال المطامع والأغراض التافهة ، وتسرب إلى صفوف الدعاة أفراد لم يتلقوا تربية الدعوة و لم ينالوا توجيهاً ناضجاً فى المجال العملى . وفى واقع الحياة التى انضموا إليها ، و إنما كانوا قد درسوا الاسلام كنظام للحياة ، و كنظرية فكرية بازاء الأنظمة الوضعية و النظريات العلمية ، فأنتج ذلك أن الدعوة الاسلامية توزعت بين علم و عمل ، و بين فكرة و واقع ، فاختار الجانب العلمى من شاء و اكتفى به و ركز كل طاقاته على دراسة الفكر الاسلامى و فلسفته دون أن يكون لديه اعتناء بالجانب العملى و الواقعى .

و طبعاً ليس ذلك مما ترضاه الدعوة أو تستسيغه طبيعة الدين فى أى حال ، ذلك الدين القيم الذى يقوم على أساس الايمان والعمل وعلى أولويات هذا الأساس العظيم ، من فقه وإيمان ، وعلم و عبادة ، و يقين و طاعة ، فكيف تستفيد الدعوة الاسلامية ممن يكتفى بالعلم و اليقين و يرى أن الايمان بالعقائد الأساسية وحده يتولى الفوز العظيم الذى أشار إليه القرآن الكريم فى غير موضع من آياته و قرر أنه ثمرة الطاعة و الخضوع لأوامر الله و رسوله .

إذا كان ذلك هو تفسير الدعوة الاسلامية دون أن تكون هناك حاجة إلى عمل و عبادة و أمر و نهى ، و حب و بغض فى ذات الله ، فما معنى قول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله ، و ما معنى قول الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه أصحاب الصحاح « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » وقول الرسول الكريم ﷺ : والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

و ليس هذا وحده ، و لكن تعاليم الكتاب و السنة كلها دعوة إلى العمل و الكفاح وإلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، و هى تطالب بالايمان والعمل الصالح قبل كل شئ ، وتدعو إلى الجمع بين الناحيتين كلتيهما فى وقت واحد ، ومادام أهل الدعوة و التوجيه متمسكين بهذا المبدأ الكبير وخاضعين له فى جميع المناسبات و الشئون ، أثمرت مجهوداتهم ، وتعارف العامة والخاصة إلى صورة الدين المتمثلة فى حياتهم ، وتم ارتباط كل شئ بذلك المبدأ وإخضاع جميع الأهواء والشهوات لتعاليم الدين التى جاء بها الرسول ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »

و ظلت الدعوة الاسلامية تشمل الآفاق ، وتنفذ كلمة الاسلام إلى القلوب على

تعاقب الأزمان والأيام ، وظهرت أنواع و أساليب كثيرة للعمل فى مجال الدعوة ، و صارلها أنصار وأعوان اعتمدوا فى أداء المسئولية على كل ما تيسرلهم من المرافق المستحدثة و الأجهزة الاعلامية مما لاغناء عنه فى العصر الحديث ، و لكن دخلت مع ذلك أفكار و آراء جديدة لتفسير الدين و الاعتقاد به ، فى المجتمعات الدعوية ، وتبعها عناصر من رجال عاملين فى الحقل الاسلامى لم يكونوا ناضجين فى الفكر والتربية أو لم يظفروا بالوسط الذى يتلقون فيه التربية للقيام بهذه المسئولية وأداء واجب الدعوة على الوجه المطلوب ، فلم يكن عندهم علم بما يجب على الداعى من الانصباغ الكامل بصبغة الورع ، وماكانوا يعرفون للتعفف أهمية فى حياته ، فاذا بهم يستغلون موقفهم من العمل الاسلامى ، وينتهزون الفرص للتمتع بالأرباح المادية و المنافع الشخصية ، دون مبالاة بما إذا تضررت برامج الدعوة بهذا الاستغلال و خسرت الدعوة فرص العمل و النجاح فى مجتمع بأسره .

و لذلك فقد واجهت جماعات دينية وحركات إسلامية فى الوقت الحاضر أزمة الاستغلال من قبل عناصر لا يهمها العمل لخدمة الدعوة باخلاص كما يهمها اكتساب الفوائد المادية و الدعاية الرخيصة ، و لا يعنيها إعلاء كلمة الله كما يعنيها ترويج بضاعتها و العمل لتفخيم حجمها ، إن هذه العناصر تستغل كل فرصة للنفع الشخصى و كل مناسبة لتغطية الميزانية الخاصة ، و قد يكون بعض أفرادها فى منصب هام للجماعة ، و قد يكون عضواً أو عاملا أو موظفاً فى فرع من فروعها ، و منهم من يقوم بالاستغلال فى نطاق خاص ، ويستخدم لافتة الدعوة وأسماء علمائها لانجاز مشروع يختص به أو جلب نفع مادى حقير لا يتفق مع مصلحة الدعوة ، ذلك كالحصول على وظيفة فى مؤسسة وجيهة مثلا .

و قد اشتكى بعض العاملين المخلصين فى مجال الدعوة الاسلامية هذا الوضع الشائن داخل الصفوف ، و رأى أن عدد العناصر الذى يسبب هذا الوضع لايزال فى تزايد ، و لا تنقصه ثقة المسئولين عن العمل ، و لا عطف الجماهير المسلمة ،

ذلك أن الوضع الصحيح لا يطلع عليه إلا قليل ممن ليس لديهم أى سلطة أو خيار فى نظام تلك الجمعية أو المؤسسة أو المركز ، و لا يملكون فيه حلا ولا عقداً .

هذا بالنسبة إلى الاستغلال المادى ، أما من وجهة التخلق بالأخلاق الاسلامية والتحلى بالفضائل فان هذه العناصر تكون أبعد منها بقدر ما يمكن أن يتصوره الانسان ، و التجارب العملية والتعايش معهم فى أجواء البيوت الداخلية و فى معاملاتهم الشخصية توفر دلائل ناصعة على تجردهم من الخلق العام فضلا عن المكارم التى بعث الرسول ﷺ لاتمامها وتعميمها بين الخلق كله .

ولعل هذه العناصر دخلت إلى صفوف الدعاة و تمكنت من ثقتهم على غفلة من الناس ، و هى لا تقصد من وراء ذلك إلا الاستغلال ما استطاعت إليه سبيلا ، و بالتالى توجيه ضربات خفية على أساس العمل الدينى الخالص الذى يتبناه الدعاة ، وتشويه سمعة العاملين فى الجماعات الدينيـــة و فى المراكز الاسلامية ، و قد تكون مدسوســـة تعمل على حساب الحركات الهدامة ، و المؤسسات السرية التى ترصـــد طاقاتها و تدبر مؤامراتها ، لهدم الاسلام ، وتخطط دائماً لتمزيق المسلمين فحسب .

إن القائمين على العمل الدعوى فى كل مكان لمسئولون عن إجراء تفتيش عادل عن مثل هذه العناصر التى تستغل الدعوة الاسلامية على مستويات مختلفة ، وتشوه سمعة الدعاة والعلماء وتخرج هيبة الدعوة من قلوب المسلمين ، بتطويع الاسلام لحاجاتها الشخصية ، واستغلال فرص الدعوة لخدمة مصالحها الخاصة التى لا تمت الى الاسلام بصلة ما .

إنهم مسئولون عن تطهير صفوفهم من كل عنصر فاسد ، و عن بتر العضو المريض من جسم الجماعات الدينية تفادياً من سريان المرض إلى جميع أجزائه ، و حرصاً على الابقاء على صحة الجسم و السهر على سلامته .

فان وجود عناصر الاستغلال فى ساحـــة العمل للاسلام و الدعوة إلى الله واقع لا يكذب ، و إن تصفية هـــذه العناصر من صف الدعاة و العاملين واجب يتحتم على كل من له صلة بالدعوة الاسلامية ، و من له اهتمام بأمر الدين ؟ .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

- غاية التعليم و التربيـــــة فى العـــالم الاسلامى و منـــاهجـــه
- محاولة جـــــديدة فى التشكيك فى صحة ما اتفق عليـــه الشيخان

غاية التعليم و التربية فى العالم الاسلامى و منهاجه

— ٢ —

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

مصير العلم مرتبط بالقلم :

أرى أن من واجبات الجامعات الاسلامية أن تحاول أن لا تقع فجوة بين العلم و الدين كما وقعت بينهما فى العالم المسيحى ، أو فى دنيا الديانات التى لم تكن فيها رابطة بين العلم والعقل ، بل إن نشوءها كان مديناً للجهل ، فقد تولدت وازدهرت بمعزل عن العلم و العقل بل على غفلة من العلم و العقل ، ففيها مجال لنشوء الفجوة و الجفوة بين العلم و الدين و بين العلم و العقل ، و لكن لا يتصور ذلك فى الدين الذى أعلن دعوته منذ اليوم الأول بل منذ اللحظة الأولى بما يلى :

(اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (١) .

الدين الذى لم ينس هذا القلم المتواضع حتى فى الحلقة الأولى من وحيه ، ولم ينسه لدى هبوب النفحة الأولى من النفحات الربانية ، لم ينس أن يؤكد أن مصير العلم مرتبط بالقلم ، لم ينسه فى خلوة غار حراء التى ارتادها نبى أمى يتلقى الرسالة الالهية لهداية البشرية ، ذلك النبى الذى لا عهد له بالقلم ، ولم يعرف من ذى قبل كيف يحرك القلم ، و لم يتعلم فن الكتابة و القراءة بتاتاً ، شئ ان يجد الانسان نظيره فى تاريخ العالم البشرى ، ولا يمكنه أن يتصور هذا المكان العالى ، لا يمكنه أن يتصور أن ينزل وحى على نبى أمى بين أمة أمية فى منطقة لم تعرف القراءة

(١) سورة العلق - ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

و الكتابة معرفة تذكر ، فضلا عن المدارس و المعاهد و دور التعليم و الجامعات ، فى الوقت الذى لأول مرة تم فيه اتصال السماء بالأرض بعد مدة قرون ، ولا يبتدىء هذا الوحى بكلمة « أعبد » ولا بكلمة « صل » أو ما إليهما من الكلمات المتجانسة ، و إنما يبتدىء بكلمة « اقرأ » يخاطب المنزل عليه بالقراءة ولا عهد له بها ، لكى يقرر و يؤكد له أن الأمة التى يكلف بهدايتها و تربيتها و تعليمها هى أمة ليست ولوعاً بالعلم فحسب ، بل ستكون معلمة العالم ، و مولعة بنشره و تصعيده و ترقيته ، و العهد الذى يقوم فيه بوظيفة الهداية و التبليغ و التربية و التعليم ، إنه ليس عهد الأمية و الوحشة و الجهل ، و عهد الظلمة و الهدم و التخريب ، و إنما هو عهد العلم و العقل و التفكير ، و عهد النظر و الحكمة ، و عهد البناء و التعمير ، و عهد حب الانسانية ، و عهد الرقى و التقدم .

كانت التجربة الفريدة الطريفة - لو صح التعبير - فى تاريخ الديانات وتاريخ العالم أن الوحى الأول نزل على النبى الأمى بين الأمة الأمية كانت بدايته بكلمة « اقرأ » ، « اقرأ باسم ربك الذى خلق » كان من الخطأ الفادح أن انقطعت صلة العلم بالرب ، فحاد عن الصراط المستقيم ، فجاء الوحى الالهى الذى نزل على النبى الأمى يصله بالله ، و يربطه بالرب تبارك و تعالى ، حيث جاء ذكر العلم مقروناً باسم الرب ، لكى يعلم البشر ضرورة بداية العلم و التعليم و القراءة باسم الرب ، الذى وهب هذه النعمة الغالية و من بها على عباده و هو الذى خلقه ، فلا يتقدم تقدماً متزناً إلا تحت توجيهه و هدايته ، إن الآية التى تتحدث عنها ! إنها ذات ثورة و انقلاب عظيم فى التفكير و العقلية و النفسية ، قرعت الآذان البشرية فى بداية الاسلام ، و كان ذلك شيئاً لم يخطر من أحد على بال ولم يتصوره فى حال من الأحوال ، لو سئل الأدباء و الحكماء و الفلاسفة و العلماء فى العالم البشرى عن

امتناحية هذا الوحى الذى سينزل على النبى الأمى ، لم يكن أحد منهم - يعرف طبيعة تلك الأمة التى نزل بينها الوحى ، و يعرف عقليته - ليقول إنه سيبتدىء بكلمة « اقرأ » كان لهم أن يتنبأوا بكل شئ ولكن لم يكن لهم ليتكهنوا أن الوحى سيكون استهلاله بكلمة « اقرأ » ثم إنه لم يبتدىء بكلمة « العلم » و إنما بالقراءة، والقراءة تتضمن الكتابة والقلم والورق ، بينما العلم قد يكون وهبياً لا يحتاج إلى القلم والقراءة والكتابة والورق ، يدل على أن هذا العلم سيكون وليد القلم ، وليد الورق ، وليد الكتابة ، وليد المكتبات والكتب والمؤلفات والصحف ، وليد التجارب ، وليد الذكاء (اقرأ باسم ربك الذى خلق) .

هذا الدين لن يفارق العلم :

مما يجب الانتباه له أن الوحى الالهى أكد أن طبيعة هذا الدين أنه ان يفارق العلم لأن الرسالة الأولى التى وجهته إلى البشرية تأمر بالقراءة ، فكيف يسوغ أن يبقى المسلمون جاهلين لا يعرفون القراءة ، المسلم الذى قطع صلته عن العلم ليس بمسلم حقيق ، و لا يجوز له أن يدعى أنه ممثل صحيح للاسلام ، ثم يجب الانتباه لهذه الدعوة الثورية (اقرأ باسم ربك الذى خلق) كيف ينبه الوحى الالهى على أن تكون هذه الرحلة - رحلة العلم - فى هداية هاد كامل و ليس هو إلا الله العليم الكريم ، لأن الرحلة طويلة شاقة معقدة خطرة ، و الطريق وعرة ذات منعطفات تعترضها بحار و أنهار ذات عمق سحيق ، و تتخللها غابات كثيفة فيها سباع مخوفة ، و حيات و عقارب سامة ، و كل حيوان ضار .

لكنه ليس مجرد علم ، ليس عبارة عن معرفة بالدمى و اللعب ، و ليس عباره عن التسلية ، و ليس مما يحوش فيما بين الانسان و الانسان و الأمة و الأمة ، و ليس عبارة عن معرفة طرق ملء البطون ، و عبارة عن تحريك اللسان ولوك

الكلمات بل هو (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

أفهل رفع من قيمة القلم أحد فى التاريخ البشرى أكثر من ذلك ، حيث يذكر بهذه الأهمية ، و بهذا التمهيد الكريم ، فى خلوة غار حراء ، و فى الوحى الأول الذى ينزل من السماء ، ذلك الذى ربما لم يكن بالامكان تواجده فى بيت من بيوت مكة ، لا أكاد أدرى لئن رحتم تبحثون عنه رجعتم بفائدة أم لا ، ربما وجدتموه فى بيت ورقة بن نوفل ، أو أى رجل تعلم الكتابة فى ديار العجم ، القلم الذى ربما لا تجدون ذكره فى دواوين الشعراء العرب الجاهليين المعاصرين مهما قلبتم الصفحات ، و أعدتم القراءة .

عصارة كل علم و ثقافة
«علم الانسان ما لم يعلم» :

ثم دل على حقيقة خالدة ذات انقلاب عظيم ، و هى أن العلم لا حد له و لا نهاية ، فقال : (علم الانسان ما لم يعلم) ، وليس العلم الحديث (Scince) إلا انعكاساً لـ (علم الانسان ما لم يعلم) و كذلك التكنولوجيا ليس إلا مظهراً لـ (علم الانسان ما لم يعلم) ، و يغزل الانسان على القمر ، ولا يعنى ذلك إلا (علم الانسان ما لم يعلم) ، ويغزو الفضاء ويقلص سعة العالم ، و يطوى أرجاءه طيا ، و يسخر أشعة الشمس - كما يقول الدكتور محمد إقبال - و يشق طريقه بين النجوم و الكواكب و يحلم بالنزول بين السماكين ، إن كل ذلك ليس إلا عبارة عن (علم الانسان ما لم يعلم) .

على كل فان الأمة التى كان أساسها الأول على القراءة ، و خاطبها الوحى الالهى الأول بذكر القلم ، إن تلك الأمة ان تفارق العلم و المعرفة لأنها تلازمه ملازمة الظل أو ملازمة الغريم .

ثم يجب أن يكون فى الاعتبار لدى إقامة كل مدرسة أو جامعة أو اتخاذ منهج تعليمى لتعليم هذه الأمة ، أن يكون الهدف من كل ذلك ترسيخ الايمان بالعقائد و الحقائق التى آمنت بها من ذى قبل ، وأن يتأتى هذا الترسيخ عن طريق القلب والعقل معاً ، ولا يكتفى اطمئنان القلب أو العقل فقط ، لأنه حينئذ سيحدث صراع بينهما فى الحياة الفردية للانسان ، وسيتدرج هذا الصراع إلى الحياة الجماعية . و على ذلك فيتخرج جيل يتصارع مع مجتمعه ، و يتصارع مع دينه و عقيدته ، وتضيع كل القوى فى إزالة «الأنقاض» ، فقد رأى بعض قادة بعض الأمم الاسلامية أنه يجب أولا إزالة الأنقاض ، و ركزوا كل عنايتهم على إزالة الأنقاض من العقائد والحقائق ، واستنفدت هذه العملية كل قواهم ، واستغرقت فرصة أعمارهم ، ولم يتمكنوا من عرض دعوتهم ، و نشر رسالتهم ، و زرع أفكارهم التى كانوا بصدد نشرها .

فاذا كان هناك منهاج تعليمى يعمق إيمان الأمة بالعقائد و الحقائق ، التى تحتضنها فهو منهاج موفق ، و لا سيما بالنسبة إلى الانسان المسلم الذى جاء يحمل رسالة و يحتضن دعوة ، فيجب أن يكون منهاجنا التعليمى و الثقافى بحيث يرسخ الايمان فى قلب المثقف ، و قلب الدارس ، و قلب الطالب الجامعى ، و قلب الفيلسوف وقلب المفكر ، ويجعلهم جميعا توفر لهم عقولهم دلائل لذلك ، ويستخدمون الثروة العلمية القديمة والجديدة المنتشرة على ظهر البسيطة فى تحقيق هذا الغرض الأكبر لتقرير هذه الدعوى الكريمة .. أيها السادة ! إذا استطاعت جامعة أن تصنع ذلك فهى الجامعة التى تستحق أن تسمى جامعة ، وأعتقد أن ذلك خير تعريف بجامعة ما .

العناية بتربية السيرة :

و الوظيفة الثانية للجامعات هى تربية السلوك و السيرة ، فلتوجد الجامعات سيرة يربأ صاحبها عن أن يبيع ضميره بحفنة من شعيرة - كما يقول الدكتور محمد إقبال -

إن الفلسفات و النظم المضادة للاسلام ترى أن إنسان اليوم يمكن شراؤه فى السوق بقيمة أو بأخرى ، فان لم يرض بهذه الكمية من الثمن فسيرضى بكمية أكثر منها ... وسر النجاح الحقيقى لجامعة ما أن تربى السيرة فتخرج رجالا من المثقفين لا يرضون أن يبيعوا ضمائرهم بأى قيمة مهما كانت رفيعة غالية ، ولا تستطيع فلسفة هادمة أو دعوة منحرفة ، أو حكومة ذات دهاء ، أن تشتريهم بأى ثمن غال ، ويقولون بملء أفواههم بلسان المقال أو بلسان الحال : « نرى العنقاء أكبر أن تصادا » و يقول بلسان الدكتور محمد إقبال :

« إن حرية القلب هى سيادة وسلطان ، أما العناية الزائدة بالبطن فهى مدعاة للموت ، و الخيار بيديك ، فاما هذا و إما ذاك » ، « يا أيها الطائر اللاهوتى : (يخاطب الانسان المسلم) اعلم أن الموت خير من القوت الذى يقصر جناحك و يمنعك من التحليق » .

و المسئولية الثانية للجامعة الاسلامية أن تخرج شباباً يقفون حياتهم لخدمة الأمة ، و يستعدون للتضحية و الفداء ، ينعمون بالجوع بما لا ينعمون بالشبع و الرى ، و التنعم و التمتع بالحياة ، و يطيبون نفساً بالحرمان ، ما لا يطيبون بالوجدان ، و يصرفون أوقاتهم و قواهم الخيرة ، و مؤهلاتهم الفكرية و العلمية ، و الرصيد العلمى و الفكرى الذى زودتهم به جامعاتهم فى رفع رأس الأمة عالياً ، و فى إعلاء كلمة الله ، و تعزيز البلد ، و انقاذ الوطن ، و فى صنع أمة ذات رسالة ، و بناء بلد مسموع الكلمة مرهوب الجانب .

فهذان أمران لابد منهما ، الأمر الأول توفر الجامعات الاسلامية غذاءاً يشبع العقل و القلب معاً ، و ضوءاً ينير لهما الطريق فى وقت واحد ، حتى يتجها جنبا إلى جنب و بتعاون متبادل (Co-operation) إلى تعزيز الايمان بالحقائق و العقائد التى آمنت بها الأمة .

و لابد أن يكون نصب أعينكم هو تخريج الرجال ذوى القدرات العالية ، و أريد أن أصارحكم بهذه المناسبة أن قيمة بلد من البلاد ليست فى كثرة جامعاتها و معاهدها ، إنها نظرية بالية قد تقادم عهدها ، و أصبح أصحابها يعرفون بالرجعية و قصر النظر ، بل القيمة فى كثرة أبنائه الذين يقفون حياتهم للبحث و الدراسة ، و نشر العلم و الثقافة ، و تثقيف الأمة و الشعب ، و رفع معنويات أمتهم ، وصنعها أمة ذات قلب وضمير أبى ، و فى كثرة الشباب الذين ينقطعون إلى خدمة الدين و العلم و الأمة و البلد ، ضاربين الشهرة الكاذبة ، ورقيهم الشخصى عرض الحائط ، و ذلك هو المقياس الحقيقى الأصيل ، الذى يقاس به البلد و الأمة ، وليكن هذا هو المقياس الوحيد فى الشرق و الغرب ، فلا نقيم لبلد قيمة إلا نظراً إلى عدد الشباب الذين يتسامون عن لذائذ الحياة الرخيصة ، و المناصب و الجاه ، والتقدم الشخصى ، و يتوفرون على العمل الجاد البناء ، وعلى العمل العلمى الايجابى النافع ، على رفع مستوى الأمة عقلياً وفكرياً ، على التوصل إلى نظرية علمية ذات أهمية ، على بحث علمى مضن يتطلب الصبر والتحمل على تعزيز البلاد من جميع النواحى .

تلك هى أهداف حقيقية يجب أن نصبو إليها ، ونضعها فى اعتبارنا ، ونجعلها نصب أعيننا ، أما مجرد التعليم و التثقيف ، و التأهيل لشغل الوظائف و المناصب ، فليس مما يثنى به على جامعة ، و ليس أبداً مما يجلب الحمد ، و يستخرج الاعجاب ، و إنى على يقين كامل أن رئيس هذه الجامعة الاسلامية و المشرفين عليها سوف لا يرضون بهذا الموقف ، و لا يقبلون أن يكون هدف الجامعة مجرد تخريج شباب مثقفين فى كمية كبيرة ، يشغلون الوظائف الشاغرة فى الادارات و المصالح والقطاعات المختلفة و المصانع ، أو الدكاكين والمحال التجارية ، و يموتون وهم أحياء ، يفقدون شخصيتهم العلمية .

الغرض الأصيل من العلم هو التوصل إلى الايمان واليقين:

يجب أن يكون هدف الجامعة - التى قامت فى هذا العهد العصيب ، وفى هذه البلاد المتأزمة - أن تعمل على إزالة الاضطراب و القلق الذى يسود جميع الدول الاسلامية منذ مائة عام تقريباً . . . تفككت عرى عقائدنا منذ بدأ الغزو الفكرى و الحضارى الغربى ، وحدث صراع نفسى وفكرى استنفدت مقاومته معظم القوى العقلية و الفكرية و العلمية لدى الدعاة . . . إن ذلك لوضع غير طبيعى يجب أن يزول فى أقرب وقت ، لكى تتوجه هذه القوى و القدرات إلى الأهداف البناءة و إلى إنقاذ البلد و دفع عجلته إلى الامام .

الحقيقة أن الأدب و الشعر ، و الفنون الجميلة ، و الحكمة و الفلسفة ، و التأليف و التصنيف ، ليس من وراء كل ذلك إلا غرض واحد ، و هو أن تتولد فى صاحبه حياة جديدة ، و إيمان جديد ، و بالتالى فى الأمة التى هو عضو فيها و المجتمع الذى هو جزء منه ،

و أود أن أنشد لكم أبياتاً قالها الدكتور شاعر الاسلام محمد إقبال و هو يخاطب الأديب و الشاعر ، لأنه ينطبق على الوضع الذى نعيشه جميعاً .

« يا أهل الذوق و النظر العميق ! أنعم و أكرم بنظركم ، ولكن أى قيمة للنظر الذى لا يدرك الحقيقة ؟ لا خير فى نشيد شاعر و لا فى صوت مغن ، إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة و الحماس ، لا بارك الله فى نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور و الخمول و الذوى و الذبول » .

إن الأوضاع التى نمر بها نحتاج فيها إلى أن نأتى بأعجوبة ، و تلك الأعجوبة سوف لن تتحقق إلا عن طريق الرسالة الاسلامية ، لأنها وحدها التى تجعل حاملها

يصنع المعجزات و يأتى بخوارق العادات، ويبطل المقاييس ، ويحطم المعايير التقليدية ، ويسخر من كل الموازين التى آمن بها العالم الجاهلى ، ويقول الدكتور محمد إقبال :

« أنا لا أعارض التذوق بالجمال و الشعور به ، فذلك أمر طبيعى و لكن أى فائدة للمجتمع من علم لم يكن تأثيره فى المجتمع كتأثير عصا موسى فى الحجر و البحر ، و ذلك أن الأمم لا يرتفع شأنها و مكانها فى خريطة العالم حتى تقدر على صنع المعجزات » .

إن باكستان اليوم تحتاج إلى هذه القدرة على صنع الخوارق ، والتأثير فى المجتمع كتأثير عصا موسى فى الحجر أو البحر ، لان باكستان تعود عليها مسئولية بعث الدول الاسلامية كلها بعثاً جديداً ، إن عليها أن تنفخ روحاً جديدة فى البلاد الاسلامية ، و توجد لديها اعتماداً جديداً ، و إيماناً جديداً ، و نشاطاً ، جديداً ، و انتعاشاً جديداً ، و طموحاً جديداً ، و قلباً خفاقاً يتحرق على بؤس الانسانية و شقائها ، و شجاعة جديدة تبعث على المغامرة و الاقتحام ، و جرأة خلقية تستطيع بها أن تنفخ الحياة فى هذه الأمم و الأقوام المشرفة على الهلاك ، التى تزل أقدامها ، و ترتعش أعصابها ، و تخفق قلوبها و تتعثر عقولها .

و من هنالك فان مسئوليتكم مزدوجة ، إن مسلمى شبه القارة الهندية يبذون مسلمى العالم الاسلامى كله بالنسبة إلى عددهم ، فتقدموا إلى الأمام للقيادة الفكرية للعالم الاسلامى ، و اعملوا على إيجاد الثقة بالاسلام ، و أكدوا عملياً أن الاسلام يتمشى مع عهد العلم و التكنولوجيا ، و باكستان اليوم « معمل » سيقرر أن النظريات الاسلامية تستطيع بكل جدارة أن تساير الزمان .

وأخيراً أشكركم وأشكر رئيس الجامعة على استماعكم لحديثى فى جو من الهدوء والجد .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

محاولة جديدة فى التشكيك فى صحة ما اتفق عليه الشيخان

الأستاذ عبد السلام عبد القادر منديلى

لقد اطلعت على هذه المحاولة فى صحيفة « أخبار اليوم » المصرية عدد ٢٠١٣ و تاريخ ١٥/ شعبان الجارى ، وبالتحديد فى العمود الأول من الصفحة العاشرة ، حيث تقول الصحيفة : إن الدكتور أحمد شلبى رئيس قسم التاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة يواصل انتقاده لبعض الروايات التى تحيط بالاسراء و المعراج .

و لقد انتقد الدكتور فى الأسبوع الماضى - كما تقول الصحيفة - الرواية المتعلقة بركوب الرسول ﷺ البراق - و انتقد أيضاً الرواية التى أثبتت أن الرسول ﷺ أم الأنبيا فى صلاتهم بالمسجد الأقصى ليلة المعراج ، ثم واصل الدكتور انتقاده الذى يحاول به التشكيك فى صحة ما اتفق عليه الشيخان : البخارى ومسلم فى صحيحيهما من قصة الاسراء و المعراج التى روياها عن الصحابى الجليل مالك بن صعصعة رضى الله عنه ، و اعترض على صحة ما رواه البخارى ومسلم عن مالك بن صعصعة بأن رسول الله ﷺ قال : ثم فرض على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى ، فقال - أى موسى - : بماذا أمرت ؟ فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال - أى موسى - إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم و إنى و الله قد جربت الناس قبلك ، و عالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله

التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، إلى آخر الحديث الذى يقول فيه الرسول بأنه عمل بما أشار عليه موسى و عاد إلى ربه لطلب التخفيف عن عدد الصلوات حتى أصبحت خمس صلوات كل يوم بدلا من خمسين صلاة .

و يقول الدكتور أحمد شلبى فى اعتراضه ، أو بالأحرى فى محاولته نشر بذور الشك بين العامة فى صحة أحاديث الشيخين و قطعية نصوصها ثبوتاً و دلالة ، يقول الدكتور (هدانا الله و إياه إلى طريق الصواب) : و يستجيب الرسول الكريم ويعود إلى ربه أكثر من مرة بناء على توصية موسى حتى تقرر الصلوات بخمسة فروض ، ثم يقول : إنما تصور الله سبحانه وتعالى فى مكان محدد يمشى إليه رسولنا الكريم ثم يعود إلى موسى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فسبحانه عن أن يكون فى مكان محدد . . ثم يقول : إنها ترمى إلى وضع موسى فى موضع المعلم لمحمد خاتم الأنبياء و أفضلهم و إمامهم و معلم البشرية ، و تضع هذه الرواية موسى و كأنه يعرف أمة محمد أكثر من محمد ﷺ . . . هكذا :

ثم يستمر الدكتور فى انتقاده الهدام لحديث المعراج حيث يقول : تقول الرواية - يعنى رواية الاسراء و المعراج - إن الرسول عليه الصلاة و السلام صعد مع جبريل إلى السماء و وقف جبريل أمام كل سماء فيدق الباب ، فتسأل الملائكة : من الذى يستفتح الباب ؟ فأجاب : أنا جبريل ، و يأتيه سؤال آخر : و من معك ؟ فيجب : محمد ، فيسأل مرة ثالثة : و هل أذن له ؟ فيجيب : نعم ، وبعد سرد حديث المعراج على هذا الأسلوب يقول الدكتور معلقاً : هكذا يقف عند كل سماء ، ثم يبدأ الدكتور بعد ذلك محاولا إيهام القارىء بأن رواية المعراج هذه لاتتناسق مع منطقه هو ، فيقول : إنها تصور الحادث الجليل (المعراج) تصويراً

مادياً محضا ، و كأن السماء لها أبواب صلدة لا بد من دقها ، ثم كيف لا تعرف الملائكة جبريل و هو أشهرهم يروح و يغدو بالوحى منذ مطلع البشرية ، و كيف لا تعرف مقدماً أن محمداً سيكون ضيف السماء . . ؟ هكذا يقول فلاحظوه جيداً ، ثم يتعالم الدكتور و يتعالى على حديث الرسول ، فتراه يقول فى شئ يشبه عدم الاقتناع بمضمون حديث المعراج : إن أى ضيف أجنبى عندما ينزل فى ضيافة دولة أخرى مثلا تقدم له كل التسهيلات مقدماً و تفتح له كل الأبواب ولا يسأله أحد من أنت ، فما بالك بضيف الله . . ، انتهى قوله .

و إنما أقول هنا ، بأن مثل هذا الاعتراض المشكك فى صحة ما نسب إلى سيد البشر ، وانتقاد نصوص الأحاديث المتفق عليها لهو سلاح جديد سوف يستغله المنادون و المخططون فى نبذ السنة و إنكار الحديث الصحيح كمصدر ثان للشريعة بعد كتاب الله ، فهم لا يزالون يتحرون الفرص ليعيدوا الكرة و يحيكوا الدسائس لهدم الدين و زعزعة العقيدة الاسلامية .

و إنى أضع هذا الأمر بين يدى علمائنا الأفاضل راجياً تفضلهم بالرد على ما جاء فى انتقادات الدكتور على رواية الاسراء والمعراج ، فلو لم تكن هذه الرواية منصوصة فى الصحيحين ، لهان الأمر ، و لكن هذه الانتقادات تمس أصح الصحيح وأعلاه الذى اتفق على تخريجه البخارى ومسلم ، لذا أرى أنه لا يحسن السكوت عليها ، ثم إن الانتقادات هذه تتناول حديثاً كريماً اعتمد المجتهدون عليه فى فرضية الصلوات الخمس ، و ثبوت معراجه عليه السلام إلى السماء ، و هو لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، جعلنا الله من المتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله العاضين عليهما بالنواجد ، لنتجنب الضلالة و نستمر فى طريق الهدى .

الدّعوة الإسلاميّة

- الاحـداد على الملوك و الزعماء و حكم الشريعـة فيـه
- التكافل الاجتماعى فى الاسـلام

الاحداد على الملوك و الزعماء و حكم الشريعـة فيـه

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

(الرياض)

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله و على آله وأصحابه و من اهتدى بهداه ، أما بعد :— فقد جرت عادة الكثير من الدول الاسلامية فى هذا العصر بالأمر بالاحداد على من يموت من الملوك والزعماء لمدة ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر مع تعطيل الدوائر الحكومية و تنكيس الأعلام .

ولا شك أن هذا العمل مخالف للشريعة المحمدية وفيه تشبه بأعداء الاسلام ، و قد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ تنهى عن الاحداد ، و تحذر منه إلا فى حق الزوجة فانها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً كما جاءت الرخصة عنه ﷺ للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل ، أما ما سوى ذلك من الاحـداد فهو ممنوع شرعاً و ليس فى الشريعة الكاملة ما يجيزه على ملك أو زعيم أو غيرهما .

و قد مات فى حياة النبى ﷺ ابنه إبراهيم و بناته الثلاث و أعيان آخرون فلم يحد عليهم عليه الصلاة والسلام ، وقتل فى زمانه أمراء جيش مؤته زيد بن حارثة و جعفر بن أبى طالب و عبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فلم يحد عليهم ، ثم توفى النبى ﷺ وهو أشرف الخلق و أفضل الأنبياء و سيد ولد آدم والمصيبة بموته أعظم المصايب و لم يحد عليه الصحابة رضى الله عنهم ، ثم مات أبوبكر الصديق

رضى الله عنه و هو أفضل الصحابة و أشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحدوا عليه ، ثم قتل عمر وعثمان و على رضى الله عنهم وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء و بعد أبى بكر الصديق فلم يحدوا عليهم ، وهكذا مات الصحابة جميعاً فلم يحد عليهم التابعون .

وهكذا مات أئمة الاسلام وأئمة الهدى من علماء التابعين و من بعدهم كسعيد ابن المسيب و على بن الحسين زين العابدين و ابنه محمد بن على وعمر بن عبد العزيز و الزهرى و الامام أبى حنيفة و صاحبيه و الامام مالك بن أنس و الأوزاعى و الثورى و الامام الشافعى و الامام أحمد بن حنبل و إسحاق بن راهويه و غيرهم من أئمة العلم و الهدى فلم يحد عليهم المسلمون ، ولو كان خيراً لكان السلف الصالح إليه أسبق والخير كله فى اتباعهم و الشر كله فى مخالفتهم .

و قد دلت سنة رسول الله ﷺ التى أسلفنا ذكرها على أن ما فعله سلفنا الصالح من ترك الاحداد على غير الأزواج هو الحق و الصواب و أن ما يفعله الناس اليوم من الاحداد على الملوك و الزعماء أمر مخالف للشريعة المطهرة مع ما يترتب عليه من الأضرار الكثيرة و تعطيل المصالح و التشبه بأعداء الاسلام .

و بذلك يعلم أن الواجب على قادة المسلمين و أعيانهم ترك هذا الاحداد و السير على نهج سلفنا الصالح من الصحابة و من سلك سبيلهم .

و الواجب على أهل العلم تنبيه الناس على ذلك و إعلامهم به أداءاً لواجب النصيحة وتعاوناً على البر و التقوى و لما أوجب الله سبحانه من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ و لأئمة المسلمين و عامتهم .

رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة ، وأسال الله عزوجل أن يوفق قادة المسلمين و عامتهم لكل ما فيه رضاه و التمسك بشريعته والحذر مما خالفها و أن يصلح قلوبنا و أعمالنا جميعاً إنه سميع الدعاء قريب الاجابة . وصلى الله وسلم على نبينا محمد و آله و أصحابه أجمعين ، ، ،

التكافل الاجتماعى فى الاسلام

الدكتور نور محمد غفارى
الأستاذ المشارك (بمجمع البحوث الاسلامية)
(الجامعة الاسلامية) باسلام آباد - باكستان

(الحلقة الثانية)

مجال نظام الكفالة الاجتماعية فى الاسلام :

ما هو مدى نظام الكفالة الاجتماعية فى الاسلام ؟ نجيب عن هذا السوال تحت العناوين التالية :

ألف- لمن هذه الكفالة ؟

ب- الكفالة لأى شئ ؟

ج- ما هو الحد الأقصى للكفالة الاجتماعية فى الاسلام ؟

نجيب عن هذه الأسئلة تباعاً :

ألف- لمن هذه الكفالة ؟ :

ليس هذا التكافل الاجتماعى فى القطاع الحكومى للمسلمين فحسب ، بل إنه لكل مواطن سواء كان مسلماً أو كافراً أعنى ذمياً ، و هذا واضح عن نظام الكفالة الذى كان مروجاً فى عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم و عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وفى سائر الزمان و الأقطار تحت رعاية الدولة الاسلامية حتى استولت عليها الاستعمار الشيوعى أو الرأسمالى .

و كان وصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمين بيت المال لانجاز حاجات الفقراء والمساكين و العجزى ، بصرف النظر عن عقيدتهم وطبقتهم ، إنه رضى الله

عنه مر بمكان فرأى هنالك شيخاً ضريراً سائلا على عتبـــة باب وسأله من هو ؟ فأجاب « إنى يهودى » فقال عمر رضى الله عنه « لماذا تسأل الناس » ؟ قال : « يجبرنى دفع الجزية وضرورة المعاش و ضعف الشيخوخة على سؤال الناس » فلما سمع عمر رضى الله عنه هذا أخذه بيده وجاء به إلى بيته وأعطاه ماكان فى البيت ، ثم أمر أمين بيت المال « انظر هذا و ضرباءه فوالله ما أنصفناه ، أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، « إنما الصدقات للفقراء و المساكين » و الفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، و وضع عنه الجزية وعن ضربائه (١) .

و هكذا أمر للنصارى الذين كانوا مجذومين و رأهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلال جولته للشام ، ووضع عنهم الجزية و أعطاهم الوظيفة من بيت مال المسلمين (٢) .

فلما فتح خالد بن الوليد رضى الله عنه الحيرة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، كتب لأهل الحيرة معاهدة صرح فيها « و جعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل وأصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر و صار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وأعيل من بيت مال المسلمين هو و عياله ما أقام بدار هجرة ، و دارالسلام (٣) .

هذه الاقتباسات تشهد بأن النظام الاسلامى للتكافل الاجتماعى يحقق إعالة مواطن الدولة الاسلامية سواء كان مسلمـــاً أم كافراً ، بل الاسلام - دين الشفقة والرحمة - يخطو خطوة إلى الامام حتى يصل إلى الحيوانات و يتضمنها تحت لواء

(١) بلاذرى رحمه الله ، فتوح البلدان ، ص ١٣٥ .
(٢) أبو يوسف رحمه الله ، المرجع السابق ص ١٧٢ .
(٣) محمد ابن سعد رحمه الله ، المرجع السابق ص ٣٠٥ .

الكفالة ، نستمع ماذا قال عمر الفاروق رضى الله عنه « لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه (١) .

و قال مرة أخرى : لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله سائلى عنها يوم القيامة (٢) و كان يقول رضى الله عنه لو تركت عنزاً جرباء إلى جانب ساقية لم تدهن لخشيت أن أسأل عنها يوم القيامة (٣) .

وفى هذا الصدد قد أصدرت علماء الاسلام فتوى بأن إعالة الحيوان إجبارية على صاحبه و من أغفل عنـــه فهو خاطئ و مجرم فى نظر القـــانون الاسلامى المـــدنى (٤) .

ب- الكفالة لأى شئ ؟ :

إن النظام الاسلامى للكفالة الاجتماعية لايشتمل على إنجاز ضروريات الانسان - أى طعاماً فى اليوم و الغطاء الملائم و المسكن المناسب و الاسعـــاف الأولى - فحسب ، بل هذا النظام الرحيم العادل ، بشرط توافر الموارد المالية ، يتضمن التعليم الضرورى ودفع الديون ونصب الزواج وبناء الخان لأبناء السبل و التسهيلات لخدمة المرضى و الشيوخ و العجزى ، و هكذا دواليك ، والتاريخ الاسلامى هو شاهد ناطق على هذه الحقيقة الواقعة .

يقول ابن الجوزى رحمه الله ، إن عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان رضى

(١) ابن الجوزى رحمه الله سيرة عمر رضى الله عنه المرجع السابق ص ١٦١ .
(٢) الغزالى رحمه الله ، التبر المسبوك ، القاهرة ، ص ٢٧ .
(٣) كتب الفقه على المذاهب الأربعة ، كتاب النفقات .
(٤) ابن الجوزى رحمـــه الله ، سيرة عمر رضى الله عنه ، المرجع السابق ص ١٦٥ .

الله عنهما كانا يرزقان المؤذنين و الأئمة و المعلمين ، (١) وعن الوضيف بن عطاء رضى الله عنه قال : ثلاثة كانوا بالمدينة المنورة يعلمون الصبيان و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرزق كل واحد منهم خمسة عشر درهماً كل شهر (٢) ، و قال أبو عبيد قاسم بن سلام رحمه الله تعالى : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى بعض عماله عن إعطاء الناس على تعليم القرآن (٣) .

واستمرت هذه الطريقة الشاملة حتى جاء عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فنراه يبعث بيزيد بن أبى مالك رحمه الله الدمشقى و حارث بن يمجد الأشعرى رحمه الله يفقهان الناس فى البلد و أجرى عليهما رزقاً ، فأما يزيد فقبل و أما الحارث فأبى (٤) .

و إنه كتب إلى والى حمص : أنظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه و حبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابى ، و إن خير الخير أعجله ، و السلام عليك (٥) .

وهكذا فانه أغلن بجوائز لمن يدل على الخير ، وإنه كتب إلى أهل المواسم: أما بعد : فأيما رجل قدم علينا فى أمر مظلمة أو أمر يصلح الله به خاصاً أو

(١) كنزل العمال ، الجزء الثانى نقلا من مسند ابن أبى شيبة .

(٢) أبو عبيد قاسم بن سلام رحمه الله ، كتاب الأموال ، ص ٢٦١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٢ .

(٤) ابن الجوزى رحمه الله ، سيرة عمر رضى الله عنه ، المرجع السابق ص ٩٥ .

(٥) ابن عبد الحكم ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

عاماً من أمر الدين فله ما بين مائة دينار إلى ثلاث مائة بقدر ما يرى من الحسبة (١) .

وبنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خاناً بين مكة المكرمة و المدينة المنورة لأبناء السبل الذين كانوا لا يستطيعون أن يستمروا فى أسفارهم لبعض شأنهم (٢) ، و سار عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، على هذه الطريقة فى عهده الراشد (٣) ، كما أنه كان يؤدى ديوناً عن الفقراء و المساكين من بيت مال المسلمين (٤) ، و إنه كتب إلى أبى بكر بن حزم رضى الله عنه : إن كل من هلك و عليه دين لم يكن دينه فى خرقه فاقض عنه دينه من بيت مال المسلمين (٥) .

و تؤيد بعض الآثار أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يساعد من بيت المال - المساكين والفقراء - الذين كانوا غير متزوجين بل كانوا صالحوا للزواج ، إنه كتب إلى زيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضى الله إلى كوفة أن يساعد كهذه الأشخاص (٦) .

وأما التسهيلات لخدمة المرضى والضعفاء والشيوخ ، فالتاريخ الاسلامى الشامخ

(١) ابن سعد ، المرجع السابق ص ٢٨٣ و البلاذرى رحمه الله ، المرجع السابق ص ٥٣ .

(٢) ابن الأثير رحمه الله ، المرجع السابق الجزء السادس ، ص ٢٢ .

(٣) أبو عبيد قاسم بن سلام رحمه الله ، المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٤) ابن عبد الحكم . المرجع السابق ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) أبو عبيد رحمه الله ، المرجع السابق ص ٢٥١ .

(٦) أمام محمد رحمه الله ، « كتاب الآثار » باب فضائل الصحابة رضى الله عنهم ، حديث رقم ٨٥٢ .

يشاهد أن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين و الأمير معاوية رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز رحمه الله كانوا يوظفون الخدام لخدمة هؤلاء الأفراد فى المجتمع الاسلامى ، و إن وقعة المجاعة فى عام ١٨هـ برهان واضح ناطق على التسهيلات التى قامت بها الدولة الاسلامية الماضية لخدمة المرضى و الشيوخ و العجزى .

« كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطعم الناس بالمدينة المنورة و يطوف عليهم و بيده عصاً ، فمر برجل يأكل بشماله ، فقال : يا عبد الله كل بيمينك ، قال : يا عبد الله إنها مشغولة - ثلاث مرات ، قال : وما شغلها ؟ قال : أصيبت يوم موتة ، قال فجلس عمر بن الخطاب رضى الله عنه عنده يبكى ، فجعل يقول : من يوضئك من يغسل رأسك و ثيابك ، و من يصنع كذا و كذا ؟ فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام وما يصلحه وما ينبغى له ، حتى رفع أصحاب محمد ﷺ أصواتهم يدعون الله لعمر رضى الله عنه مما رأوا دقته بالرجل و اهتمامه بأمر المسلمين (١) .

كما عين عمر بن عبد العزيز رحمه الله خداماً لخدمة المرضى والأيتام والضرائر من أهل الشام (٢) .

إن هذه الوقائع الصادقة تبرهن على أن النظام الاسلامى للتكافل الاجتماعى يشتمل على كل ضرورة من ضرورات الانسان .

ج- ما هو الحد الأقصى للكفالة الاجتماعية فى الاسلام ؟ :

فى الواقع أنه ليس له الحد الأدنى أو الأقصى من المقدار أو الكمية بل إنما

(١) ابن الجوزى رحمه الله ، سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، المرجع السابق ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) مختار الكونين (مخطوطة) ص ٤٤ .

هو يعتمد على الظروف و الوسائل ، لكن إعالة الاحتياجات الأصيلة واجبة على الدولة الاسلامية ، بأنه لابد لأى إنسان من ثلاثة أمور ذكراً كان أو أنثى ، لايمكن حياته و تفرغه لعبادة ربه وبقاء نسله بدونها ، فيجب على الامام (رئيس الدولة) أن يقصد تيسير الأمور الثلاثة لكل فرد من أفراد الدولة ، حسب استعداده وحاله سواء كان غنياً أو فقيراً و ذكراً أو أنثى .

أولها : الطعام و الشراب وهو سبب الحياة التى لا تمكن إلا به ، والثانى : اللباس سواء كان من القطن أو الكتان أو الصوف أو غير ذلك ، الثالث : التزويج لأنه سبب لبقاء النسل (١) .

والامام أبو بكر الكاسانى رحمه الله تعالى يوسع مجال هذه الاحتياجات الأصلية و يقول : « و يجب عليه المأكل و المشرب و الملبس و السكنى ، و الرضاع إن كان رضيعاً ، لأن وجوبها للكفالة متعلق بهذه الأشياء فان كان للمنفق عليه خادم يحتاج إلى خدمته نفرض له أيضا لأن ذلك من جملة الكفالة (٢) .

علاوة على ذلك ، بشرط الامكانيات المالية تجتهد الدولة الاسلامية أن تغير فقراءها أغنياء و محتاجيها مؤسرين ، و قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجة بارزة فى هذا النطاق ، قال عمر رضى الله عنه : أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعنهن لا يفتقرن إلى أمير بعدى (٣) .

كما أعلنا مالك بن أنس رضى الله عنه عن زيد بن أسلم رضى الله عنه عن أبيه رضى الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس بأعلاهم (٤) ، و عن أسود بن قيس رضى الله عنه

(١) أبو بكر الكاسانى رحمه الله ، بدائع الصنائع ، الجزء الرابع ، ص ٣٨ .

(٢) أبو يوسف رحمه الله ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٣) ابن سعد رحمه الله ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لئن عشت لأجعلن عطاء سفلة الناس ألفين (١) .

وعمر بن عبد العزيز كان أغنى الناس فى عهده حتى لم يجد فقيراً يقبل صدقات المسلمين ، قال يحى بن سعيد رحمه الله : بعثنى عمر بن عبد العزيز رحمه الله على صدقات أفريقية فاقتضيتها ، و طلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً و لم نجد من يأخذها منى ، قد أغنى الله على يد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الناس ، فاشتريت بها رقاباً فأعتقتهم و ولاؤهم للمسلمين (٢) .

وقال رجل من ولد زيد بن الخطاب رضى الله عنه : إنما ولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله سنتين و نصفاً ، فذلك ثلاثون شهراً ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ، يتذكر من يضعه فيهم فيما يجده ، فيرجع بماله ، قد أغنى الله على يد عمر بن عبد العزيز رحمه الله الناس (٣) .

رحم الله عمر بن عبد العزيز فانه كان رحيماً عادلا ورعاً تقياً ، الذى أعاد العدالة الاجتماعية الاسلامية إلى الدولة الاسلامية .

وقد كتب السيد على زاده الحنفى رحمه الله فى شرح مسئولية الدولة الاسلامية لتحقيق التكافل الاجتماعى فى المجتمع البشرى : ولا يدع فقيراً فى ولايته إلا أعطاه و لا مديوناً إلا قضى عنه دينه ، ولا ضعيفاً إلا أعانه ، ولا مظلوماً إلا نصره ، و لا ظالماً إلا منعه ، و لا عارياً إلا كساه كسوة (٤) .

(١) ابن عبد الحكم ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٣) السيد على زاده الحنفى رحمه الله ، شرع شرعة الاسلام ، نقله مولانا حفظ الرحمن « اسلام كا اقتصادى نظام » ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .
(٤) رواه أبو داؤد و ابن ماجة رحمهما الله ، باب كراهية المسألة .

دراسات وأبحاث

- مقدمة المصنف شرح الموطأ
- آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى تاريخ التشريع الاسلامى

مقدمة المصنى شرح الموطأ

-(٢)-

الامام ولى الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
تعريب : محمد أكرم الندوى

الاجتهاد فرض كفاية :

و الذى قطعنا من أن الاجتهاد فرض بالكفاية فى كل عصر فلأن القضايا والحوادث كثيرة لاتعد ولاتحصى ، ومعرفة الأحكام الالهية فيها واجبة ، وما كتب و دون لا يكفى مع ما فيه من اختلافات شديدة ، لا يقطع فيها بحكم إلا بالرجوع إلى الأدلة .

كون الموطأ مسلكا للاجتهاد :

والذى قلنا من أن طريق الاجتهاد قد توقف إلا عن هذا الطريق ، فلأن الأحاديث لا تكفى سائر الأحكام ، فمست الحاجة إلى آثار الصحابة و التابعين .

وليس اليوم على وجه الأرض كتاب غير الموطأ اشتغل به العلماء واعتمدوا عليه فى اجتهادهم طبقة بعد طبقة ، و هذا الأمر لا يحتاج فى ثبوته إلى دليل لدى كل من عرف الكتب المأثورة التى هى من أصول الشرع ، و عرف فيها مناحى الاجتهاد و كلام العلماء .

و السذج من الناس فى عصرنا قد أهملوا هذه الناحية إهمالا كلياً كالثوق المخطومة لا تعرف أين تقاد ، فهؤلاء لا يمكن أن يكلفوا هذا الأمر .

وخلق الله للحروب رجالا و رجالا للقصعة و الثريد

سبب هذا التأليف :

و بالجملة فالنظر إلى هذه الأمور بعث فى الشوق أولا إلى رواية الموطأ ، و شرحه ثانياً .

ميزات هذا الشرح :

و جاء شرحه و ترتيبه و تبويب مسائله حسب ترتيب الكتب الفقهية ، مع ذكر الآيات المتعلقة بكل باب وشرح الغريب وترجمة كل حديث ، وبيان اختلافات الفقهاء فى كل مسألة و تحديد الألفاظ الواردة فى النصوص ، و استخراج علة كل حكم ، و استنباط القواعد الكلية الجامعة المانعة و ذكر تعقبات الشافعى و غيره ، وما إلى ذلك من الأسرار الغامضة لاجتهاد ، و وصل الارسال وذكر مآخذ أقوال الصحابة و التابعين التى هى من الأسرار الغامضة فى علوم الحديث ،

و لا شكوى إذا لم يدرك أهل عصرنا هذه الأسرار و لم يغتنموها ، لأنهم قد أعرضوا و تغافلوا عنها ، و المرء عدو ما جهل .

أساس فقه الامام مالك :

و أعلم أن مالكا بنى فقهه على حديث النبى ﷺ المسند أو مرسل الثقات ، ثم قضايا عمر ثم فتاوى ابن عمر ، ثم فتاوى سائر الصحابة و فقهاء المدينة سعيد ابن المسيب ، و عروة بن الزبير و القاسم و سالم و سليمان بن يسار و أبى سلمة و أبى بكر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام و أبى بكر عمرو بن حزم ، و عمر بن عبد العزيز و أمثالهم .

سبب ميل مالك إلى عمر رضى الله عنه :

و أما اختياره لقضايا عمر رضى الله عنه فلأجل أن رأيه كان يوافق القرآن و السنة فى الغالب و قال النبى ﷺ بينا أنا نائم شربت يعنى اللبن حتى أنظر إلى الرى يجرى فى ظفرى أو أظفارى ثم ناولت عمر قالوا : فما أولت قال: العلم (١) ، و رأى على عمر قميصاً يجره فأول بالعلم (٢) و كذلك كانت قضايا عمر فى الغالب مما أجمع عليه الصحابة .

(١) البخارى كتاب المناقب .
(٢) كتاب المناقب للبخارى بلفظ « قالوا فما أولته يا رسول الله قال : الدين » .

سبب اعتماده على أقوال ابن عمر رضى الله عنه :

وأما عمل ابن عمر رضى الله عنه فلأجل أن كبار الصحابة شهدوا باستقامته وتفضله على سائر الصحابة ، قال حذيفة : لقد تركنا رسول الله ﷺ يوم توفى، و ما منا أحد إلا و غير عما كان عليه إلا عمر و عبد الله ابن عمر (١) ، قال مالك بن أنس قال ابن شهاب لا تعدان عن رأى ابن عمر ، فانه قام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة فلم يخف عليه شئ من أمر رسول الله ﷺ و أصحابه (٢) ، و قالت عائشة: ما رأينا ألزم للامر الأول من عبد الله ابن عمر (٣) ، وقال محمد ابن الحنفية : كان ابن عمر خير هذه الأمة (٤) ، وقال سعيد بن جبير : رأيت ابن عمر وأبا هريرة وأبا سعيد و غيرهم كانوا يرون أنه ليس أحد منهم على الحال التى فارق عليها رسول الله ﷺ غير ابن عمر (٥) ، وقال جابر : « إذا سركم أن تنظروا إلى أصحاب محمد ﷺ لم يغيروا ولم يبدلوا ، فانظروا إلى عبد الله بن عمر، ما منا أحد إلا غير (٦) » ، وقال أبو جعفر : لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثاً أجدر أن لا يزيد و لا ينقص ولا ولا من ابن عمر (٧) ، وقال نافع : لو رأيت ابن عمر يتبع آثار رسول لله ﷺ لقلت هذا مجنون (٨) ، و روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين أنه كان يقول : إن ابن عمر أزهد القوم و أصوبهم رأياً (٩) ، و هذه الآثار كلها فى المستدرك للحاكم ، و من آثار استقامة ابن عمر أنه لم يدخل فى الفتن ، بايع علياً على أن لايقاتل مسلماً ، وقل على ذلك ، فلأجل ذلك تخلف عن الحروب ،

(١) المستدرك ج / ٣ ص / ٥٥٧ . (٢) المصدر السابق ص / ٥٥٩ .
(٣) المصدر نفسه . (٤) المصدر نفسه ص / ٥٦٠ .
(٥) المستدرك للحاكم ج / ٣ ص / ٥٦٠ .
(٦) المصدر نفسة . (٧) نفس المصدر ص / ٥٦١ .
(٨) المصدر نفسه . (٩) نفس المصدر ص / ٥٦٠ .

وقال نافع : « دخل ابن عمر فى الكعبة فسمعته يقول فى سجدته : قد تعلم ما يمنعنى من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك » (١) .

عمل أهل المدينة :

و أما اختياره أقوال تابعى المدينة فلأن المدينة روح البلاد و قلب الأمصار ارتحل إليها العلماء فى كل عصر ، يعرضون آراءهم على أهل المدينة ، فهذبت العلوم لأهل المدينة .

شيوخ مالك من غير أهل المدينة :

و شيوخ مالك كلهم من المدينة إلا ستة ، وهم أبو الزبير من مكة ، وحميد الطويل و أيوب السختيانى من البصرة . وعطاء بن عبد الله من خراسان ، و عبد الكريم من الجزيرة ، و إبراهيم بن أبى عبلة من الشام .

غالب أسانيد الامام مالك :

و اعلم أن مالكا يروى غالباً أحاديث ابن عمر عن النبى ﷺ عن نافع عن ابن عمر ، و عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ، و يروى ابن عمر تارة عن عمر عن النبى ﷺ و أحاديث عائشة عن النبى ﷺ عن ابن شهاب عن عروة أو عن قاسم عن عائشة ، و عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، و عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة ، وعن يحى بن سعيد عن عمرة عن عائشة ، وعن أبى الرجال عن أمه عمرة عن عائشة ، و أحاديث أبو هريرة عن النبى ﷺ عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، و عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، وعن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أو عن أبى سلمة أو عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبى هريرة ، وعن يحى بن سعيد عن

(١) المستدرك ج / ٣ ص / ٥٦٠ .

سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، وعن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، و أحاديث أنس عن النبي ﷺ ، عن ابن شهاب عن أنس و عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس ، و أحاديث جابر عن النبي ﷺ عن أبي الزبير عن جابر و عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وعن وهب بن كيسان عن جابر ، و عن محمد بن المنكدر عن جابر ، وأحاديث أبي سعيد الخدري عن عمر بن يحي المازني عن ابيه عن أبي سعيد ، و عن محمد بن يحي بن حبان عن أبي سعيد ، و أحاديث سهل بن سعد عن أبي حازم عن سهل ، روى مالك بهذه الأسانيد نحو خمسمأة حديث ، وهذه الأحاديث أصح ماروى عن النبي ﷺ وأقواه فى مشارق الأرض ومغاربها .

سبب قلة روايات مالك عن علي و ابن عباس :

و روايات مالك عن ابن عباس و على قليلة ، سأله هارون الرشيد عن ذلك فقال : لم يكونا ببلدى ولم ألق رجالهما ، ومع ذلك فيروى أحاديثها عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن بن محمد بن على عن أبيهما عن على بن أبي طالب ، وعن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس ، وعن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس .

شيوخ مالك فى الأحاديث المرسلة :

و أما الأحاديث المرسلة فشيوخ مالك فيها كثيرون ، أجلهم ابن شهاب عن الفقهاء السبعة عن النبي ﷺ ، و ابن شهاب عن النبي ﷺ ، و زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن النبي ﷺ ، وزيد بن أسلم عن النبي ﷺ ، ويحي بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن النبي ﷺ ، و يحي بن سعيد عن النبي ﷺ ، و صفوان بن سليم عن النبي ﷺ ، و هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ ، و جعفر عن أبيه عن النبي ﷺ .

بلاغات مالك :

وكأن مالكا طالع كتب جماعة يروى منها بقوله مالك بلغه أن النبي ﷺ ...

رواية لآثار الصحابة :

و يروى آثار عمر عن نافع عن ابن عمر عن عمر ، و عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ، و عن زيد بن أسلم عن عمر ، وعن نافع عن أسلم عن عمر ، و عن يحي بن سعيد بن المسيب عن عمر ، و عن يحي بن سعيد عن عمر ، وعن إسحاق بن عبد الله عن أنس عن عمر ، و آثار عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، و عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ، و آثار عائشة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، و عن يحي بن سعيد عن عمرة عن عائشة

رواية لأقوال فقهاء المدينة :

و أما أقوال فقهاء المدينة فيروى أقوال سعيد بن المسيب عن ابن شهاب و يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب ، و ابن شهاب عن سالم و أبي بكر و زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار ، وعبد الرحمن بن القاسم عن أبيه ، و يحي بن سعيد عن أبي سلمة .

الشيوخ الذين أقل عنهم الرواية :

و هناك ناس لم يرو عنهم بهذه الكثرة ، بل روى عشرة أو عشرون من أقوال التابعين مع أحاديثهم ، كسالم بن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله و داؤد ابن حصين ، وعبد الرحمن بن حرملة الأسلمي ، و يزيد بن رومان و حميد بن قيس المكي و أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة وعلقمة بن أبي علقمة ، وزيد ابن الخصيفة ، و ثور بن زيد الديلمي ، ومحمد بن عمر بن حلحلة الديلي ، و موسى ابن عقبة ، و محمد بن أبي مريم .

نقله الفتاوى من غير شيوخه :

وهناك أناس روى عنهم نحو ما روى عن هؤلاء أو روى شيوخهم نحو ما

روى هؤلاء وأناس عرضت لهم حوادث فاستفتوا الفقهاء السبعة ، أخذ مالك منهم هذه الفتاوى من دون أن يعتبروا من مشيخة مالك .

معنى قول مالك « السنة عندنا كذا :

و يقرر مالك تارة مختاره أو مختار الفقهاء السبعة أو عمل أهل المدينة فيقول : السنة عندنا كذا وكذا ، قال الشافعى : إنه ليس باجماع بل هو مما اختاره مالك و شيوخه .

اعتماد المؤلف فى الشرح على ما يوافق رأى الجمهور :

فذكر المؤلف من هذا القسم فى شرحه ما وافق الجمهور ، و ما كان خاصاً بمالك أعرض عنه .

رجال مالك الذين أكثروا الرواية :

و أريد أن أذكر شيئاً عن رجال مالك ، و لكن أعرض عن الذين لم يرو عنهم إلا قليلا .

١ — عبد الله بن عمر : من المكثرين والفقهاء فى عصر الصحابة ، و شهد جمع من الصحابة باستقامته ، و لم يدخل فى الفتن ، و لم يقبل الخلافة حذراً من قتال المسلمين ، وفضائله أكثر من أن تحصى ، توفى سنة ثلاث وسبعين عن أربعة و ثمانين أو ستة و ثمانين .

٢ — سالم بن عبد الله بن عمر : أحد فقهاء المدينة ، كان ثقة ورعا ، روى عن أبيه كثيراً ، توفى سنة ست و مائة .

٣ — محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى : أحد فقهاء الاسلام ومحدثيه ، كان يشار إليه بالبنان فى سائر العلوم الشرعية ، وأول من كتب الحديث ، ولا يجمع على الأحاديث الطويلة بدونه ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول : لا أعلم أحد أعلم بسنة ماضية منه ، و هو حافظ الحديث فى الاسلام لا يحصى من روى عنهم ومن رووا عنه ، توفى

سنة أربع و عشرين و مائة عن اثنين و سبعين .

٤ — نافع بن سرجس مولى عبد الله بن عمر : أحد ثقات المحدثين ، تدور عليه أحاديث ابن عمر و آثاره ، و آثر مالك الرواية عنه ، قال مالك : إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالى أن لا أسمعه من أحد ، توفى سنة سبع عشرة و مائة و قيل سنة عشرين و مائة ، و سرجس بفتح السين المهملة و سكون الراى و كسر الجيم .

٥ — عبد الله بن دينار مولى ابن عمر : من ثقات تابعى المدينة ، توفى سنة سبع و عشرين و مائة أو سنة اثنتين و ثلاثين و مائة .

٦ — عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها : فقيهة حافظة كثيرة الحديث ، أحرزت السبق فى الشجاعة والجود والفصاحة و العلم و التقوى ، ماتت سنة سبع و خمسين و قيل سنة ثمان و خمسين .

٧ — عروة بن الزبير : أحد فقهاء المدينة ، كثير الحديث و الفتوى ، كان ثقة ورعاً ، مات سنة أربع و تسعين .

٨ — قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله : كان من ثقات فقهاء المدينة و تابعياً ورعاً مات سنة إحدى و مائة .

٩ — عمرة بنت عبد الرحمان الأنصارية ، ربتها عائشة ، لها فقه و حديث ، روى عنها ابنها أبو الرجال محمد بن عبد الرحمان ، ماتت سنة ثلاث و مائة .

١٠ — يحى بن سعيد بن قيس الأنصارى القاضى : ثقة ثبت روى مالك عنه كثيراً من المرفوعات و الموقوفات ، مات سنة أربع و أربعين و مائة .

١١ — هشام بن عروة بن الزبير : ثقة فقيه ، أكثر رواياته المرفوعة و الموقوفة عن أبيه ، مات سنة خمس و أربعين ومائة ، أو ست و أربعين ومائة عن سبع و ثمانين سنة .

١٢ — عبد الرحمان بن القاسم : ثقة جليل ، قال ابن عيينة : كان أفضل زمانه ، مات سنة ست و عشرين و مائة .

١٣ — أبو هريرة : اختلفوا فى اسمه و نسبه ، أكثر الصحابة رواية ، أتى النبى ﷺ بخيبر فلزمه ، مات سنة سبع وخمسين عن ثمانى وثمانين ، وقيل غير ذلك .

١٤ — سعيد بن المسيب القرشى المخزومى : سيد التابعين ، جمع بين الفقه والحديث والزهد و العبادة و الورع ، كان أعلم الناس بحديث أبى هريرة ، و قضايا عمر ، مات سنة ثلاث و تسعين .

١٥ — أبو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف : أحد فقهاء المدينة ومن الثقات و المفتين ، مات سنة أربع و تسعين .

١٦ — الأعرج عبد الرحمان بن هرمز : ثقة ثبت من حملة العلم بالمدينة المنورة ، أكثر رواياته عن أبى هريرة ، مات سنة سبع عشرة و مائة .

١٧ — أبو الزناد عبد الرحمان بن ذكوان : فقيه ثقة فى الحديث ، مات سنة ثلاثين و مائة .

١٨ — أبو صالح السمان ذكوان : ثقة ثبت ، كان يجلب الزيت ، فسمى الزيات و السمان مات سنة إحدى و مائة .

١٩ — سهيل بن أبى صالح : صدوق ، تغير حفظه فى آخر عمره ، ولأجل ذلك لا يروى البخارى عنه إلا المعلقات أو إذا تابعه غيره .

٢٠ — سمى مولى أبى بكر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام : ثقة صدوق ، مات سنة ثلاثين و مائة .

٢١ — أبو سعيد المقبرى كيسان : ثقة ثبت مات سنة مائة ، من الموالى ، سكن بقرب من مقبرة المدينة فنسب إليها .

٢٢ — سعيد بن أبى سعيد : من المشهورين بالمدينة والثقات ، اختلط فى آخر عمره روى عنه الأئمة قبل الاختلاط ، مات سنة ثلاث و عشرين و مائة .

٢٣ — أنس بن مالك الأنصارى : من المكثرين ، خدم النبى ﷺ و هو ابن عشر سنوات ، ولما بلغ العشرين توفى النبى ﷺ ، كان النبى ﷺ يولى عنايته به ، و دعا له دعوات أجيبت ، مات وهو ابن تسع و تسعين سنة ، وروى عنه صغار التابعين لطول عمره .

٢٤ — اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى : من ثقات التابعين فى المدينة ، قال الواقدى « كان مالك لا يقدم عليه أحداً » مات سنة أربع وثلاثين ومائة .

٢٥ — ربيعة بن أبى عبد الرحمان المعروف بربيعة الرأى : أحد فقهاء المدينة ، غلب عليه الاستنباط و الخوض فى مسائل السلف فنسب إلى الرأى .

٢٦ — حميد بن أبى حميد الطويل : تابعى كثير الحديث ، مات سنة ثمانى وأربعين ومائة ، قال الأصمعى : « لم يكن طويلا ولكن كان طويل اليدين » (١) .

٢٧ — عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن عمرو بن حزم الأنصارى المدنى القاضى : ثقة مات سنة خمس و ثلاثين و مائة .

٢٨ — أبو سعيد الخدرى سعيد بن مالك : شهد الغزوات كلها بعد أحد ، روى كثيراً من الأحاديث ، مات سنة ثلاث أو أربع و ستين .

٢٩ — عمرو بن يحى بن عمارة المازنى : ثقة مات بعد ثلاثين و مائة .

٣٠ — محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبى صعصعة الأنصارى المازنى ، ثقة من أهل المدينة .

٣١ — سهل بن سعد الساعدى : كان ابن خمس عشرة سنة لما توفى النبى ﷺ و هو آخر من مات من الصحابة فى المدينة سنة إحدى و تسعين .

(٣٢) أبو حازم سلمة بن دينار : ثقة عابد ، روى عن سهل بن سعد ، مات فى خلافة المنصور .

٣٣ — جابر بن عبد الله الأنصارى السلمى بفتحتين : صحابى بن صحابى ، شهد

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ج / ١ ص / ١٣٧ .

مع النبي ﷺ فى تسع عشرة غزوة ، مات سنة سبعين عن أربع و تسعين .

٣٤ — أبو الزبير المكى محمد بن مسلم تدرس بفتح تاء مثناة و سكون دال مهملة و ضم الراء مولى الأسديين ، صدوق ، مات سنة ست وعشرين ومائة ، كان البخارى لا يروى عنه لتدليسه .

٣٥ — على بن الحسين بن على بن أبى طالب الملقب بزين العابدين جمع بين السياده و العبادة و الفقه ، قال الزهرى : ما رأيت قرشياً أفضل منه ، مات سنة ثلاث و تسعين .

٣٦ — محمد بن على بن الحسين أبو جعفر الملقب بالباقر : جمع كأبيه بين السيادة و العلم ، روى عن أبيه و عن جابر ، مات سنة بضع عشرة و مائة .

٣٧ — جعفر بن محمد بن على بن الحسين أبو عبد الله الملقب بالصادق : الفقيه الامام الشريف صاحب المناقب الكثيرة ، مات سنة ثمانى و أربعين و مائة .

٣٨ — وهب بن كيسان : مولى قريش ، من ثقات المدينة ، مات سنة سبع و عشرين و مائة .

٣٩ — محمد بن المنكدر : تابعى جليل مات سنة ثلاث و مائة .

٤٠ — الحسن البصرى : أحد الفقهاء و العباد من التابعين ، و مناقبه أشهر من أن تذكر ، مات سنة ست عشرة و مائة .

٤١ — أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى بفتح السين المهملة بعدها خاء معجمة ، ثم مثناة ثم تحتانية و بعد الألف نون ، نسبة إلى عمل الجلود ، ثقة من كبار الفقهاء و العباد ، مات سنة إحدى و ثلاثين و مائة .

٤٢ — عطاء بن عبد الله الخراسانى : مولى المهلب ، ثقة مات سنة خمس و ثلاثين و مائة .

٤٣ — عبد الكريم بن أبى المخارق بضم الميم و بالخاء المعجمة ، جزرى الأصل ، نزيل مكة ، ثقة ، مات سنة ست و عشرين و مائة .

٤٤ — محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية : عالم ثقة ، له ابنان عبد الله و حسن يقرن الزهرى بينهما .

٤٥ — عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : فقيه ثقة مدنى ، كثير الرواية عن ابن عباس ، مات سنة أربع و تسعين .

٤٦ — عطاء بن يسار : الفاضل صاحب المواعظ و العبادة ، مات سنة أربع و تسعين .

٤٧ — زيد بن أسلم مولى عمر : عالم ثقة ، كان مالك يبالغ فى تعظيمه ، مات سنة ست و ثلاثين و مائة .

٤٨ — صفوان بن سليم مولى بنى زهرة : ثقة عابد .

٤٩ — سالم أبو النضر مولى عمر بن عبد الله القرشى : ثقة ثبت ، مات سنة تسع و عشرين و مائة .

٥٠ — داؤد بن الحصين : ثقة مات سنة خمس و ثلاثين و مائة .

٥١ — محمد بن عبد الرحمان أبو الأسود : كان يتيماً برباه عتبة ، ثقة مات سنة بضع و ثلاثين و مائة .

٥٢ — علقمة بن أبى علقمة بلال مولى عائشة ، ثقة مات سنة بضع و ثلاثين و مائة .

٥٣ — ثور بن زيد الديلى بكسر الدال بعدها تحتانية ، ثقة مات سنة خمس ثلاثين و مائة .

٥٤ — محمد بن عمرو بن حلحلة الديلى بمهملتين بينهما ساكنة ، ثقة .

٥٥ — موسى بن عقبة بن أبى عياش بتحتانية ومعجمة ، مولى آل الزبير ، كان إماماً فى المغازى ، مات سنة إحدى و أربعين و مائة .

و من طبقة شيوخ يحى بن سعيد ، محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، ثقة ، تفرد بأحاديث ، مات سنة عشرين و مائة .

[يتبع]

آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
فى
تاريخ التشريع الاسلامى

—١٢—

الأستاذ سلمان الحسينى الندوى

الحاجة إلى التخريج :

و لكن الجيل الذى تأخر عنهما كثر لديه التفريع و التخريج على أقوال الأئمة ، و لقد كان ذلك أولا للضرورة التى تقتضى كثرة التخريجات ، و إنماء الثروة الفقهية ، لمواجهة كل ما يجد من قضايا اجتماعية ، و اقتصادية و جنائية ، إذ كان العالم الاسلامى يخوض التجارب الجديدة فى تلك الآونة ، و تحدث التطورات فى الحياة الاجتماعية بصورة مستمرة سريعة ، هذا مع نزوع أتباع كل إمام إلى الاستفادة من ثروة فقهه ، وضبط أصوله و تدوين آرائه ، لأجل ذلك وغيره من الأسباب الصحيحة التى لا ينبغى التغاضى عن أهميتها نمت التخريجات نمواً عظيماً .

القدرة على التخريج :

و كان هناك سبب آخر طبيعى له أهميته ، نبه إليه الامام الدهلوى فقال :

« وكان عندهم من الفطانة والحدس و سرعة انتقال الذهن من شئ إلى شئ ما يقدرون به على تخريج جواب المسائل على أقوال أصحابهم ، و كل ميسر لما خلق له ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » (١) (٢) .

فكانت قدرتهم - لممارستهم الفقه و أصوله - على التفريع و التخريج قدرة فائقة متمكنة لا يمكنهم أن يتخلوا عنها ، ولو تخلوا عنها لكان الفقه أقوالا مبتورة مبثوثة ، فخدمتهم تذكر و تشكر ، و لكن البلية التى استجرت إليها هذه التخريجات هو نشوء المنزع التخريجى ، و استحكامه فى نفوس الفقهاء المتأخرين ، الذين بدأوا

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٣ . (٢) الانصاف ص ٥٨ .

التخريج على التخريج ، و استنبطوا الأصول من الفروع المخرجة ، و ستأتى قصتها فيما بعد .

صور التخريج :

و لكى نعرف مدى هذا الفقه التخريجى و أبعاده ، لا بد أن نعرف ما هو التخريج ؟ و قد عرف الامام الدهلوى بعد أن صرح بأن هؤلاء الفقهاء « مهدوا الفقه على قاعدة التخريج » بوجوه التخريج صوره ، واذكرها فى النقاط التالية :

١— ينظر الفقيه الحافظ لأقوال إمامه و تصريحاته فى كلامه ، فاذا سئل عن شئ و لم يجد جوابه فى تصريحاته ، نظر إلى عموم كلامهم و منه جواب المسألة .

٢— أو ينظر إلى إشارة ضمنية لكلام فيستنبط منها .

٣— و ربما كان لبعض الكلام إيماء أو اقتضاء يفهم المقصود ، فيأخذ به .

٤— و ربما كان للمسألة المصرح بها نظير يحمل عليها ، فيحمله عليها .

٥— و ربما نظر فى علة الحكم المصرح به ، بالتخريج ، أو بالسبر (١) و الحذف (٢) ، فيدير حكمه على غير المصرح به .

٦— و ربما كان له كلامان لو اجتمعا على هيئة القياس الاقترانى (٣) أو

(١) السبر معناه الاختبار ، و المراد به فى أصول الفقه هو اختبار الأوصاف فى واقعة الحكم الشرعى ، للتعرف على الوصف المناسب ليكون علة للحكم .

(٢) و المراد بالحذف هو إبعاد الأوصاف التى لا تكون ملائمة لأن تكون علة للحكم ، (أنظر أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص / ٧٧ .

(٣) القياس الاقترانى - و يسمى : قياساً حملياً ، و قياساً جزمياً ، هو مركب من مقدمتين : صغرى و كبرى ، تستتبعان نتيجة ، مثل قولنا : كل جسم مؤلف ، و كل مؤلف محدث ، فيلزم منه أن كل جسم محدث ، فقولنا : (كل جسم مؤلف) مقدمة صغرى ، وقولنا : (وكل مؤلف محدث) ★

الشرطى (١) انتجا جواب المسألة .

★ مقدمة كبرى ، و اللازم عنهما وهو (كل جسم محدث) نتيجة .

ومثاله من الفقه قولنا : كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، فكل مسكر حرام ، و مثال آخر كل ضار مكروه شرعاً ، و كل مكروه منهى عنه ، فكل ضار منهى عنه .

(١) القياس الشرطى - مركب من مقدمتين أيضاً ، إحداهما مركبة من قضيتين قرن بهما صيغة شرط ، والأخرى حملية واحدة ، هى المذكورة فى المقدمة الأولى بعينها أو نقيضها و يقرن بها كلمة استثناء ، و لذا يقال له القياس الاستثنائى أيضاً .

مثاله : إذا كان العالم حادثاً فله صانع ، لكنه حادث فاذن له صانع ، فقولنا (إذا كان العالم حادثاً فله صانع) مقدمة مركبة من قضيتين حمليتين ، قرن بهما حرف الشرط و هو قولنا (إن) و قولنا (لكن العالم حادث) قضية واحدة حملية ، قرن بها حرف الاستثناء (لكن) و قولنا (إذن فله صانع) نتيجة .

ومثاله من الفقه قولنا : (إن كان النكاح صحيحاً فهو مفيد للحل لكنه صحيح فاذن هو مفيد للحل) و مثال آخر : (إن كان الوتر يصلى على الراحلة فهو نفل ، لكنه يصلى على الراحلة ، فاذن هو نفل) .

و هناك صور أخرى للقياس الشرطى ينظرها من أرادها فى كتاب « معيار العلم » للامام الغزالى رحمه الله ص - ١٥١ - ١٥٩ (مقتبس من تعليق المحقق على الانصاف فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غده - حفظه الله .

و ينبغى أن نعلم أن هذه الأقيسة أقيسة منطقية لم تكن عند أوائل الفقهاء و لكنها استعملت لدى المتأخرين عند ما أصبح للمنطق جولة و صولة فى المناهج الدراسية ، و صبغت به الكتب الفقهية و الكلامية .

٧- وربما كان فى كلامهم ما هو معلوم بالمثال و القسمة غير معلوم بالحد الجامع المانع ، فيرجع المخرج إلى أهل اللسان ، ويتكلف تحصيل ذاتياته ، وترتيب حد جامع مانع له ، و ضبط مبهمه و تميز مشكله .

٨- و ربما كان كلامهم محتملا لوجهين فينظر فى ترجيح أحد المحتملين .

٩- و ربما يكون تقريب الدلائل للسائل خفياً فيبين ذلك

١٠- وربما استدل بعض المخرجين من فعل أئمتهم وسكوتهم ونحو ذلك (١) .

المخرجون هم المجتهدون فى المذهب :

« فهذا هو التخريج ، ويقال له : القول المخرج لفلان كذا ، و يقال : على مذهب فلان أو على أهل فلان أو على قول فلان ، جواب المسألة كذا وكذا ، ويقال لهؤلاء : المجتهدون فى المذهب ، وعنى هذا الاجتهاد - على هذا الأصل - من قال : من حفظ المبسوط (٢) « كان مجتهداً » أى و إن لم يكن له علم بالرواية أصلا و لا بحديث واحد » (٣) .

و التخريج كما قلت وقع للضرورة الفقهية ، و لم يكن ليستغنى عنه الفقهاء بعد ما دون الفقه ، و مهدت قواعده و أصوله ، و حققت كثير من المسائل ، و لذلك قال الامام الدهلوى :

للتخريج أصل أصيل :

« و اعلم أن التخريج على كلام الفقهاء وتتبع لفظ الحديث ، لكل منهما أصل أصيل فى الدين ، و لم يزل المحققون من العلماء فى كل عصر يأخذون بهما ، فمنهم من

(١) انظر الانصاف ص ٥٨ - ٦١ .

(٢) هو موسوعة فقهية ضخمة فى ثلاثين جزءاً للامام السرخسى الحنفى (ت ٤٨٣هـ).

(٣) الانصاف ص ٦١

يقل من ذا ويكثر من ذاك ، ومنهم من يكثر من ذا ويقل من ذاك ، فلا ينبغى أن يهمل أمر واحد منهما بالمرة كما يفعله عامة الفريقين ، و إنما الحق البحت أن يطابق أحدهما بالآخر و أن يجبر خلل كل بالآخر (١) » .

و لو فرضنا أن جميع الكتب الفقهية أصبحت معدومة ، و لم تبق لدينا إلا الأحاديث المجردة ، أيكون بوسع أحد فى العصور المتأخرة أن يستقل بالفقه وجواب المسائل التى قد دونت فى المجاميع الفقهية ، الجواب الواقعى لذلك بالنفى ليس غير .

خطر بناء التخريج على التخريج :

و لكن الذى ينبغى أن يعترف به أن ما استدركه الخطابى على المحدثين و ما نبههم إليه من خطر فى تحكيم أصولهم دائماً و بدون استثناء ، هو أشد وأضر على الفقهاء لو استمروا على تخريجاتهم ، يبنى المتأخر منهم على تخريج المتقدم . ويفرع المتأخر على أصل المتقدم ، وهكذا دواليك ، ولكان الخوف من البعد عن النصوص و ظاهر السنة السنية ، كبيراً عظيماً .

تكلف المخرجين :

و هناك أمور يقع الفقهاء و المخرجون بتكلفها فى أخطاء ، كان من غير اللازم أن يتكلفوها .

فتراهم مثلا يستدلون بنحو الواو والفاء وتقديم كلمة و تأخيرها ، و يتعمقون فى ذلك ، و يبنون عليها الخلافات ، مع أن الراوى يعبر عن تلك القصة أو ذلك الحكم بعبارات مختلفة ، و يأتى مكان حرف بحرف آخر ، و لا يتكلفون مراعاة هذه الحروف بتلك الدقة التى تعرف لدى المختصين بفقه اللغة و المتعمقين من أهل العربية ، فقد كان جمهور الرواة عند الرواية بالمعنى يهتمون برؤوس المعانى ، لا بالألفاظ و الحروف و التدقيق فيها ، يعرف ذلك كل من يراجع المصادر الحديثية فيجد فيها حديثاً واحداً بتعبيرات مختلفة (٢) .

(١) الانصاف ص ٦٢ .

(٢) انظر الانصاف ص ٦٣ .

بعض الضوابط للتخريج :

و مما ينبغى أن يراعيه المخرجون لدى تخريجهم من أقوال أئمتهم ما يلى :

١- « لا ينبغى لمخرج أن يخرج قولا لا يفيده نفس كلام أصحابه ، ولا يفهمه منه أهل العرف والعلماء باللغة ، ويكون بناءاً على تخريج مناط أو حمل نظير المسألة عليها مما يختلف فيه أهل الوجوه ، وتتعارض الآراء ، ولو أن أصحابه سئلوا عن تلك المسألة ، ربما لم يحملوا النظير على النظير لمانع ، وربما ذكروا علة غير ما خرجه هو » .

٢- « ولا ينبغى أن يرد حديثاً أو أثراً تطابق عليه القوم لقاعدة استخرجها هو أو أصحابه كرد حديث المصراة (١) (مثلا) ، فان رعاية الحديث أوجب من رعاية تلك القاعدة المخرجة (٢) (٣) .

(١-٢) الحديث أخرجه البخارى وغيره ولفظه : لا تصروا الابل والغنم ، فمن ابتاعها بعد فهو بخير النظرين بعد أن يحتلبها إن شاء أمسك و إن شاء ردها وصاع تمر ، أنظر فتح البارى ج ٣ ص ٣٦١ ، و التصرية حبس اللبن فى الضرع ، حتى يظن المشترى أنها كثيرة اللبن ، و قد جاء فى الحديث أن اللبن إذا استعمل فان بدله صاع من تمر ، مع أن اللبن غير معروف القدر ، ففيه جهالة ، و لكن الحديث ورد هكذا ، و قاعدة الضمان وهى الخراج بالضمان ، أو قاعدة الغنم بالغرم تخالفه ، فهى تقضى بدفع القيمة المساوية للبن ، و لكن القاعدة هنا تخالف النص الصحيح ، فترد ، هكذا قال جمهور الفقهاء غير الأحناف ، ولكن الأحناف يأخذون بتلك القاعدة والحقيقة أنها ليست مخرجة ، بل منصوصاً عليها فى حديث ، مع توارد كثير من الأحكام الشرعية عليه ، مع أنهم يرون الاضطراب فى متن الحديث ، ولم يسلموا عدم الاضطراب ، فيقولون لا تتعدى هذه ★

٣- كما أنه لا ينبغى له أن يتعمق فى التخريج و يبعد النجعة فيه ، و يبنى تخريجاً على تخريج فى سلسلة تنأى به عن النصوص ، بل لابد عند كل تخريج من مراجعة النصوص الثابتة ، و عرض التخريجات عليها و نقدها على محكها ، وبذلك يمكن تجنب الأقوال المردودة و الشاذة و الضعيفة فى كتب الفقه و الفتاوى .

وكل دخيل فى الفقه الاسلامى كان سببه هذا التخريج و التفريع بغض النظر عن المصدرين الأساسيين ، ونتج عن ذلك ما عبر عنه الامام الخطابى و هو يذكر متأخرى الفقهاء ، فيقول :

وصف الخطابى للمخرجين المتأخرين :

« و أما الطبقة الأخرى و هم أهل الفقه والنظر ، فان أكثرهم لا يعرجون من الحديث إلا على أقله ، ولا يكادون يميزون صحيحه من سقيمه ، و لا يعرفون جيده من رديئه ، ولا يعبؤون بما بلغهم منه أن يحتجوا به على خصومهم إذا وافق مذاهبهم التى ينتحلونها ، ووافق آراءهم التى يعتقدونها ، وقد اصطلحوا على مواضعة بينهم فى قبول الخبر الضعيف و الحديث المنقطع ، إذا كان قد اشتهر عندهم ، و تعاورته الألسن فيما بينهم من غير ثبت فيه أو يقين علم به ، فكان ذلك ضلة من الرأى و غبناً فيه (١) .

★ القاعده موضع النص ، بل هو حكم خاص لشخص خاص .

و ينبغى أن ينظر فى المسألة أيضاً من حيث إنها تعبدية أو قياسية ، و إنه إن لم يوجد التمر ألا تعطى قيمة صاع من تمر ؟ فكيف يبقى التعبد بما ورد به النص ؟ ! و لذلك من المعقول أن نقول : إن هذا تقدير تقريبى من الرسول - ﷺ - وليس الأمر تعبدياً محضاً ، فلم نعهد الأحكام التعبدية المحضة فى البيوع و المعاملات .

(٣) الانصاف ص ٦٣ .

(١) نقل الامام الدهلوى هذه العبارة عن الامام الخطابى و لم يذكر الاحالة إلى كتاب ، و لم أجد مصدر هذه العبارة .

ثم ذكر أنهم يحتاطون فى قبول روايات بعض أصحاب أئمتهم ، و يعتمدون على بعض آخر فأصحاب مالك يأخذون برواية ابن القاسم و أشهب و غيرهما من قدماء أصحابه ، ولا يأخذون برواية عبد الله بن عبد الحكم ، كذلك أصحاب أبى حنيفة يأخذون برواية أبى يوسف و محمد ، فاذا جاء القول عن الحسن بن زياد بخلافهم لم يقبلوه ، وأصحاب الشافعى يعولون على رواية المزنى و الربيع المرادى فاذا جاءت رواية حرملة و الجيزى لم يلتفتوا إليها .

فاذا كان هذا موقفهم من أقوال الفقهاء ، فكيف بهم لا يميزون هذا التمييز فى الأحاديث النبوية الشريفة ، و لكنهم « اختصروا طريق العلم ، و اقتصروا على نتف و حروف منتزعة من معانى أصول الفقه ، سموها عللا و جعلوها شعاراً لأنفسهم فى التوسم برسم العلم ، و اتخذوها جنة عند لقاء خصومهم ، و نصبوها دريئة للخوض و الجدال ، يتناظرون بها ، و يتلاطمون عليها ، و عند التصادر عنها قد حكم للغالب بالحذق و التبريز ، فهو الفقيه المذكور فى عصره و الرئيس المعظم فى بلده (١) (٢) .

هذا وقد استعانوا بالكلام ، و وصلوه بمقطعات منه ، و استظهروا بأصول المتكلمين ، و قواعد المنطقيين ، و خلطوا تلك الأصول الواضحة التى نراها فى « الفقه الأكبر » كلاماً ، و فى « الرسالة » أصول فقه ، بالقواعد العقلية المنطقية التى تفقد المرونة و السعة ، و الخصب ، و قد كان ذلك فى عصر الامام الخطابى (ت ٣٨٨هـ) فكيف بالعصور التى تلت ! .

و سيأتى تفصيل ذلك ، مع ذكر أصناف الناس و أنواع المجتهدين ، و نشوء التقليد فى الحلقة القادمة - إن شاء الله تعالى - .

[يتبع]

(١) أيضاً .

(٢) الانصاف ص ٦٥ - ٦٧ .

الأدب الاســـــلامى
فى
تراثنا التاريخى و الجغرافى

الأستاذ الدكتور فتحى عثمان مدير البحوث (سابقاً)
بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
رئيس تحرير مجلة «العربية» (Arbia)

—(الحلقة السادسة)—

وقد يغنى هنا أن نسوق مثلا رائعاً للأدب التاريخى ما ساقه المؤرخون المسلمون عن هجمات التتار الكاسحة لبلدان آسيا التى تهاوت دول المسلمين تحت مطارقها و وقع المسلمون بين فكى التتار و الصليبيين . . . يقول ابن الأثير : « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارها لذكرها نأنا أقدم إليها رجلا و أوخر أخرى، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب عن الاسلام والمسلمين فياليت أمى لم تلدنى و ياليتنى مت قبل هذا أو كنت نسياً منسياً » ، « ولقد جرى لهؤلاء التتار مالم يسمع بمثله من قديم الزمان و حديثه . طائفة تخرج من حـــدود بلاد الصين لا تنقضى عليهم سنـــة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية من هذه الناحية و يجاوزون العراق من ناحية همـــذان . . . . يسر الله للمسلمين و الاسلام من يحفظهم ويحوطهم . . . . ولم ينل المسلمين أذى وشدة منذ جاء النبى ﷺ إلى هذا الوقت مثلما دفعوا إليه الآن . وتعدث هذه الطائفة منهم النهر إلى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك » هذا العدد الكافر التتر قد وطئوا بلاد ماوراء النهر و ملكوها و خربوها ثم وصلوا إلى الرى و بلد الجبل . . . و قد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم. والعدو الآخر: الفرنج قد ظهروا من بلادهم فى أقصى بلاد الروم بين

الغرب و الشمال ، و وصلوا مصر فملكوا مثل دمياط و أقاموا فيها ، و لم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنهـــا و لا إخراجهم منها . و باقى ديار مصر فى خطر . فانا لله و إنا إليـــه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم » (١) .

ولا يخلى ابن الأثير المسلمين من مسئولية إزاء تلك الداهية الدهياء . « فالله تعالى ينصر الاسلام والمسلمين نصراً من عنده ، مما نرى من ملوك الاسلام من لا رغبة له فى الجهاد ولا فى نصرة الدين بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته و هذا أخوف عندى من العدو . و قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » . و قد كان ياقوت الحموى (المتوفى ٦٢٦هـ) صاحب معجمى (الأدباء) و (البلدان) معاصراً لابن الأثير و لهجمات التتار ونجا بشق النفس من غارتهم ، و كتب رسالة إلى القاضى القفطى وزير صاحب حلب ٧ ٦ هـ نقلها ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) و مما جاء فى تلك الرسالة : « فانا لله و إنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر و تهدم العمر وتفت فى العضد و تشيب الوليد و تخب لب الجليد ، و تسود القلب و تذهل اللب فحينئذ تقهقر المملوك (يعنى ياقوت نفسه) على عقبه ناكصا ، و من الاوبة إلى حيث تستقر فيه النفس بالأمن آيسا . . . . فتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل ، بعد مقاساة أخطار وابتلاء واصطبار » (٢) .

و كان فى مصنفات التراجم و السير مجال فسيح لتقديم صورة قلمية أدبية للشخصية المترجم لها بالاستناد إلى المصادر التاريخية الموثوق بها ، وكان على المصنفين أولا أن ينتقوا مما أثر عن الشخصية المترجم لهـا ما يفى بالقصد و يبرز قسمات الصورة ، ثم كان عليهم ثانياً أن يعرضوا المادة المنتقاة عرضاً طلياً مشوقاً حافزاً للاقتداء بهم

(١) ابن الأثير : الكامل - القاهرة - ج ١٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ترجمة (ياقوت الحموى) .

وانتهاج نهجهم وإنزالهم المنزلة التى يستحقونها من قلوبهم وعقولهم . روى ابن سعد فى (طبقاته) من سيرة عمر بن الخطاب أن الربيع بن زياد الحارثى وفد إلى الخليفة فشكا عمر طعاماً غليظاً أكله فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بطعام لين ومركب لين لأنت . فرفع عمر جريدة كانت معه فضرب بها رأس الربيع وقال : أما والله ما أراك أردت بها الله و ما أردت بها إلا مقاربتى ، إن كنت لأحسب أن فيك ، ويحك هل تدرى ما مثلى ومثل هؤلاء؟ مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم فقالوا له : أتفق علينا ، فهل يحل له أن يستأثر منها بشئ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . قال : فكذلك مثلى و مثلهم . ثم قال عمر : إنى لم استعمل عليكم عمالى ليضربوا أبشاركم وليشتموا أعراضكم و يأخذوا أموالكم ، و لكنى استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا أذن له على ليرفعها إلى حتى أقصه منه . فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين أرأيت إن أدب أمير رجلا من رعيته أتقصه منه ؟ فقال : و مالى لا أقصه منه و قد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ؟ و كتب عمر إلى أمراء الأجناد « لا تضربوا المسلمين فتذلوهم و لا تحرموهم فتكفروهم و لا تجمروهم فتفتنوهم و لا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم . و يروى ابن سعد طائفة من (أوليات عمر) فيقول : « . . . . دعى عمر أمير المؤمنين فهو أول من سمى بذلك ، وهو أول من كتب التاريخ فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة من هجرة النبى ، وهو أول من سن قيام شهر رمضان وجمع الناس على ذلك (أى سن الاجتماع على القيام) وكتب به إلى البلدان و ذلك فى شهر رمضان سنة أربع عشرة وجعل للناس بالمدينة قارئين : قارئاً يصلى بالرجال و قارئاً يصلى بالنساء ، وهو أول من ضرب فى الخمر ثمانين ، واشتد على أهل الريب والتهم . . . وهو أول من عس فى عمله بالمدينة وحمل الدرة و أدب بها ولقد قيل بعده:

لدرة عمر أهيب من سيوفكم ، وهو أول من فتح الفتوح وهى الأرضون والكور التى فيها الخراج و الفىء . . . . ما خلا أجنادين فانها فتحت فى خلافة أبى بكر الصديق . . . . وهو أول من مسح السواد و أرض الجبل و وضع الخراج على الأرضين و الجزية على جماجم أهل الذمة فيما فتح من البلدان . . . . و هو أول من مصر الأمصار : الكوفة و البصرة و الشام و مصر و الموصل و أنزلها العرب وخطط فى الكوفة و البصرة خططاً للقبائل ، و هو أول من استقضى القضاة فى الأمصار ، و هو أول من دون الديوان و كتب الناس على قبائلهم و فرض لهم الاعطية من الفىء ، و قسم القسوم فى الناس وفرض للمسلمين على أقدارهم و قدمهم فى الاسلام ، و هو أول من حمل الطعام فى السفن من مصر فى البحر ثم حمل من البحار إلى المدينة ، و كان عمر إذا بعث عاملا له على مدينة كتب ماله و قد قاسم غير واحد منهم ماله إذا عزله منهم سعد بن أبى وقاص وأبو هريرة . وكان يستعمل رجلا من أصحاب رسول الله عليه الصلاة و السلام مثل عمرو بن العاص و معاوية بن أبى سفيان و المغيرة بن شعبة و يدع من هو أفضل منهم مثل عثمان و على وطلحة و الزبير وعبد الرحمن بن عوف و نظرائهم لقوة أولئك على العمل و البصر به ولاشراف عمر عليهم وهيبتهم له ، وقيل له : مالك لا تولى الأكابر من أصحاب رسول الله عليه الصلاة و السلام ؟ فقال : أكره أن أدنسهم بالعمل . واتخذ عمر داراً للدقيق فجعل فيها الدقيق و السويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه، يعين به المنقطع و الضيف ينزل بعمر ، و وضع عمر السبل ما بين مكة و المدينة ما يصلح من ينقطع به ويحمل من ماء إلى ماء . . . . » (١) . وهذه (الأوليات) تركز على تطور الدولة الاسلامية ونظم حكمها و إدارتها زمن عمر ، كما تبرز معالم

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ دار صادر بيروت ج ٣ ص ٢٨٠ - ٢٨٣ .

شخصية الخليفة نفسه ، رحمه الله .

ثم انظر كيف يختار ابن الجوزى لابن حنبل عند تأليفه مناقبه رواية جامعة لعقيدته السلفية فى أمهات مسائلها تشغل أقل من صفحة بما فيها سند الرواية : « . . . . قال لى أحمد بن حنبل إمام أهل السنة و الصابر لله عز وجل تحت المحنة : أجمع سبعون رجلا من التابعين و أئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التى توفى عليها رسول الله ﷺ : أولها الرضا بقضاء الله و التسليم لأمره و الصبر تحت حكمه ، و الأخذ بما أمر الله به و النهى عما نهى عنه ، و إخلاص العمل لله ، و الايمان بالقدر خيره و شره ، وترك المراء و الجدل و الخصومات فى الدين والمسح على الخفين ، والجهاد مع كل خليفة بر وفاجر ، والصلاة على من مات من أهل القبلة ، والايمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام الله منزل على قلب نبيه ﷺ غير مخلوق من حيث ماتلى ، و الصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور ، ولا يخرج على الأمراء بالسيف و إن جاروا ، ولا يكفروا أحداً من أهل التوحيد وإن عملوا بالكبائر ، و الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ، وأفضل الناس بعد رسول الله أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ابن عم رسول الله ، والترحم على جميع أزواج رسول الله وأولاده وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين . فهذه السنة ألزموها تسليماً ، أخذها بركة و تركها ضلالة » (١) . وهى رواية تشهد لصاحبها بالعلم و الأدب معاً ، إذ أجمل الكثير فى كلام قليل مبين ، كما أنها تشهد لمن اختار هذه الرواية المستوعبة المحكمة باصابة المحز . ويمضى ابن الجوزى رحمه الله فى اختيار مروياته ويوزعها على أبواب كتابه التى بلغت المائة ، و كان منها فى شأن إخلاص أهل العلم و تورعهم عن التظاهر

(١) ابن الجوزى : مناقب الامام أحمد بن حنبل ص ٢٢٨ .

بعلمهم قول ابن حنبل الموجز الحكيم « إظهار المحبة من الرياء » ، و فى الجواب لمن سأله الحب فى الله : « إن لا يحبه لطمع فى دنيا » ، و فى جواب من سأله عن الفتوة : « ترك ما تهوى لما تخشى » ، و فى وصيته لابنه عبد الله « يا بنى أنو الخير ، فانك لا تزال بخير ما نويت الخير » . و كان من حكم ابن حنبل المختارة البليغة أيضاً : « يؤكل الطعام بثلاث : مع الاخوان بالسرور و مع الفقرا بالايثار ومع أبناء الدنيا بالمروءة » ، إذا مات أصدقاء الرجل ذل » . و أخبر أبو بكر المروزى قلت لأبى عبد الله : الرجل يقال فى وجهه أحييت السنة ، قال : « هذا فساد لقلب الرجل » . و روى عن أحمد رحمه الله أنه كان يأتى العرس و الاملاك و الختان و يجيب و يأكل . و دعى هو و يحيى بن معين و جماعة فقدم الداعى لوزينجا أنفق عليه ثمانين درهماً ، فقال أبو خثيمة هذا إسراف ، فقال أحمد : « لا ، لو أن الدنيا جمعت حتى تكون فى مقدار لقمة ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها فى فم أخيه المسلم لما كان اسرافا » ، فقال له يحيى : صدقت يا أبا عبد الله .

وكل هذه المختارات شاهد على أدب الامام المحدث الفقيه الصابر أحمد بن حنبل، كما هى شهادة لابن الجوزى الفقيه المؤرخ الأديب. وكتب ابن الجوزى اختياره مذهب أحمد فقال : « اعلم وفقك الله أنه إنما يبين الصواب فى الأمور المشتبهة لمن أعرض الهوى وقصد الحق لطريقه ولم ينظر فى أسماء الرجال ولا فى صيتهم ، فذلك الذى ينجلى له غامض المشتبه فأما من مال به الهوى فعسير تقويمه . و اعلم أنا نظرنا فى أدلة الشرع وسبرنا أحوال الأعلام المجتهدين . . . » . ثم مضى ابن الجوزى يبين نصيب ابن حنبل من العلم بالقرآن و السنة و العلل و اللغة و القياس ، و عقب على ذلك بقوله : « ثم إنه ضم إلى العلوم ما عجز عنه القوم من الزهد فى الدنيا وقوة الورع . . . . » و قد سبق فى كتابنا هذا من زهده فى المباحات ما يكفى

و يشفى ، ثم إنه ضم إلى ذلك الصبر على الامتحان و بذل المهجة فى نصرة الحق . . . » ثم يقول : « فأما المجتهد من أصحابه فانه يتبع دليله من غير تقليد له ، و لهذا يميل إلى أحدى الروايتين عنه دون الأخرى ، و ربما اختار ما ليس فى المذهب أصلا لأنه تابع للدليل ، و إنما ينسب هذا إلى مذهب أحمد لميله إلى عموم أقواله » (١) . و أكرم بهذه الأخيرة منقبة للامام الجليل ، و شاهد على توفيقه فى تربية من تابعوه على اتباع السنة و الدليل لا مشايعة الرجال أو الائتمار بأمر أحد غير الله و رسوله صلوات و سلامه عليه .

و نختار من أدب السيرة الذاتية ، نموذجاً معبراً يصور واقعة معينة برواية صاحبها ، وهى أقرب إلى أن تدرج فى أدب المذكرات أو الاعترافات وقد وردت بلسان الصحابى الأنصارى كعب بن مالك رضى الله عنه و كان أحد الثلاثة الذين خلفوا فى غزوة تبوك و نزل فيهم قول الله تعالى يعلن قبول توبتهم من فوق سبع سموات على الملأ « لقد تاب الله على النبى و المهاجرين و الأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم ، إنه بهم رؤف رحيم . و على الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم » (التوبة / ١١٧-١١٨) . يقول كعب بن مالك فى رواية صحيح البخارى : « لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد ، و لقد

(١) المرجع السابق ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢ .

شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام و ما أحب أن لى مشهد بدر و إن كانت بدر أذكر فى الناس منها ، كان من خبرى إنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت فى تلك الغزوة و الله ما اجتمعت عندى قبله راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة . و لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفراً بعيداً و مفازاً و عدداً كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم و أخبرهم بوجهه الذى يريد . و المسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له مالم ينزل فيه وحى الله . و غزا رسول الله ﷺ حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع و لم أقض شيئاً فأقول فى نفسى أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بى حتى اشتد الناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ و المسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً . فلم يزل بى حتى أسرعوا و تفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت ، فلم يقدر لى ذلك . فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزننى أننى لا أرى إلا رجلا مغموصاً عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء . و لم يذكرنى رسول الله حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب؟ فقال رجل من بنى سلمة : يارسول الله حبسه برداه و نظره فى عطفه ، فقال معاذ ابن جبل : بئس ما قلت ، والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ . فلما بلغنى أنه توجه قافلا حضرنى همى ، فطفقت أتذكر الكذب و أقول بماذا أخرج من سخطه غداً و استعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله قد أظل قادماً زاح عنى الباطل و عرفت أنى لن أخرج

مه أبداً بشئ فيه كذب ، فأجمعت صدقه . و أصبح رسول الله قادماً ، و كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع ركعتين ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له و كانوا بضعة و ثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله علانيتهم و بايعهم و استغفر لهم و وكل سرائرهم إلى الله . فجئته ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال : تعال . فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ، ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فقلت : بلى ، إنى و الله يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، و الله لقد أعطيت جدلا . و لكنى و الله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب لترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، و لئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه إنى لأرجو فيه عفو الله . لا و الله ، ما كان لى من عذر ، و الله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقمت . وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى: والله ما علمناك أذنبت ذنباً مثل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ما اعتذر إليه المخلفون ؟ قد كان كافيك استغفار رسول الله ، فو الله ما زالوا يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى . ثم قلت لهم: هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى وهلال بن أمية الواقفى ، فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً لى فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لى . ونهى رسول الله المسلمين عن كلامنا ، فاجتنبنا الناس و تغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحباى فاستكانا و قعدا فى بيوتهما يبكيان ، و أما أنا فكنت أشب القوم و أجلدهم فكنت أخرج فأشهد

الصلاة مع المسلمين و أطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد ، و آتى رسول الله فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه فأسارقه النظر ، فاذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى ، و إذا التفت نحوه أعرض عنى . حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه فو الله مارد على السلام . فقلت : يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله و رسوله أعلم . ففاضت عيناى ، فتوليت حتى تسورت الجدار ، فبينما أنا أمشى بسوق المدينة إذا بنبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذ جاءنى دفع إلى كتاباً من ملك غسان فاذا فيه : أما بعد ، فانه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، و لم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرته بها . حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله يأتينى فقال : إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها فلا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى مثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر . . . . حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا ، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة و أنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال الذى ذكر الله : قد ضاقت على نفسى و ضاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أرقى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فخررت ساجداً وقد عرفت أنه قد جاء فرج . و آذن رسول الله توبة الله علينا حين صلى

صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا و ذهب قبل صاحبى مبشرون ، و ركض إلى رجل فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما . وانطلقت إلى رسول الله فيتلقانى الناس فوجاً فوجاً يهنئونى بالتوبة يقولون ليهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى و هنأنى و الله ما قام رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة . فلما سلمت على رسول الله وهو يبرق وجه من السرور قال: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ؟ قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: بل من عند الله . و كان رسول الله استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، و كنا نعرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة . . . . قال رسول الله : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك . قلت : فانى أمسك بسهمى الذى بخيبر. فقلت: يا رسول الله ، إن الله إنما نجانى بالصدق. و إن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما اعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما أبلانى، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومى هذا كذباً ، و إنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت . . . . . » .

فهل سمعت يا أخى أبلغ و أصدق من هذا الأدب العالى النبيل ؟

قد خلف السلف مكتبة ثرية و تراثاً متنوعاً فى التاريخ و التراجم و السير ، سبق بيان بعض فنونه و ألوانه ، و هى كلها تجمع عمق المعرفة إلى جمال التعبير . و تراثنا التاريخى على تنوع مصنفاته تبرز فيه كله الخصائص الاسلامية الجامعة التى

سلف ذكرها، مما يجعل تنوع هذا التراث التاريخى تنوعاً فى إطار من الوحدة الجامعة، و بذلك تبرز فى مصنفات تواريخ الأقطار والدول والمدن وسير الشخصيات قسمات الطابع الفردى المميز . لكنه لا ينفصل أو ينعزل عن (الكل) فمصنفات مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادى أو تاريخ دمشق لابن عساكر أو ولاة مصر وقضاتها للكندى أو رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى ، و المصنفات التى تسجل سيرة صلاح الدين الأيوبى أو محمود الغزنوى ، حافلة بسمات الطابع المشترك لكتابات المسلمين ، من الاستناد إلى الكتاب والسنة ، وتأكيد (للوحدة) الاسلامية فى مختلف جوانبها و إماراتها : و وحدة الدين و وحدة دار الاسلام و وحدة الارتباط بخلافة الاسلام الراشدة و دولته الموحدة و عهود حضارته الزاهرة . و ذلك فضلا عن الطابع المشترك فى نهج التأليف و أسلوب العرض . ولا عجب فى هذا التنوع و التفرد فى إطار الوحدة الجامعة ، فهذه الخصيصة الفذة للاسلام و حضارته . فالاسلام لايهدر التميز الفردى فى داخل جماعة الاسلام ويحيز التنافس فى الخير و البر و الفضائل و إنما يهدر الاستعلاء و التكبر و الغطرسة و الصلف « و أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد . و منهم سابق بالخيرات باذن الله » (فاطر / ٣٢) ، « و فى ذلك فليتنافس المتنافسون » (المطففين / ٢٦) . و حضارة الاسلام استوعبت أعراقا و شعوبا وبيئات ، تجلت فيها قسمات شخصيتها فى العادات المباحة ، و أطلقت طاقاتها المبدعة لتسهم فى دولة الاسلام و حضارتها و تتعاون على البر و التقوى و تتنافس فى الخير و المعروف .

(— يتبع —)

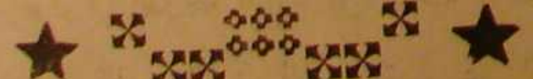

دراسة خاصة بالشعر المخضرم :

أدب المخضرمين ، فى تاريخ آداب اللغة العربية

سعيد الأعظمى الندوى

هذا النوع من الأدب العربى له أهمية تاريخية وقيمة فنية كبيرة ، فقد عاش الحياة الجاهلية وصورها تصويراً دقيقاً ، ثم قدر له أن ينتقل من جاهلية الحياة إلى إسلاميتها ، ويعيشها كذلك ، فيصورها بأشكالها المختلفة وألوانها المتغيرة ، لذلك فان الشعر العربى الذى نشأ فى الجاهلية و مارس ألوان الحياة فيها و استطاع أن يمدها بأفكاره الأدبية واتجاهاته الشعرية فى تقوية أواصر الحياة القبلية و الاعتزاز بالتقاليد القومية و الافتخار بأمجاد الآباء ، و الدفاع عن شرف النسب ، و التغنى بفضل القبيلة ، نقله إسلامه إلى حياة تختلف عن حياته السابقة كل الاختلاف ، فبينما كان الشاعر العربى فى الجاهلية يتغنى بأمجاده القبيلة ويدافع بشعره عن حوزة قومه ، ويرفع به ناساً ويخفض به آخرين ، و بينما كان يتخذ شعره ذريعة لتسلية العواطف و إشباع الغرائز و تحريك المشاعر و إيقاظ الشعور القومى و الرد على الأعداء ، إذا هو يرعوى عن غيه و يعود إلى رشده ، فيجعل أدبه الشعرى وسيلة للتربية الدينية و خدمة الانسانية ، و الدعوة إلى الفضائل و المكارم الخلقية ، و التوجيه إلى الايمان بالله ورسوله و الآخرة ، و التفكير فى غاية الحياة و رسالتها فى الحياة الفردية و الجماعية ، و فى الحب الطاهر الذى يقوم بدوره العظيم فى بناء الوحدة و بث روح التعاون و الأخوة الصادقة .

و يأتى المخضرمون فى الدرجة الثانية من الناحية الزمنية ، و أدب المخضرمين فى الطبقة الثانية من طبقات الشعر العربى الذى ينقسم على النحو التالى :

١ — الشعر الجاهلى .
٢ — « المخضرم .
٣ — « الاسلامى .
٤ — « المحدث .

الشعر الجاهلى :

أما الشعر الجاهلى فذلك هو الأدب الذى اعتمد عليه الجاهليون قبل الاسلام ، وتنافس فيه المتنافسون ، ولم يعتنوا بنوع آخر من آداب لغتهم وإنما ركزوا على الشعر و صبوا فيه كل طاقاتهم البيانية والأدبية حتى بلغوا به إلى ذروة البلاغة والتعبير ، ولم يتركوا أى منهج من المناهج البيانية إلا وقد اختاروه ولا أسلوباً من الأساليب البلاغيه إلا و انتهزوه ، فكان شعرهم نموذجاً عالياً من نماذج الأدب و روائع الكلام ، و نشأ فيهم الفحول من الشعراء الذين كانوا لا يقيمون أى قيمة لأدب أو شعر أو كلام ، و كانوا يعتبرون الدنيا كلها عجماء بازاء شعرهم البليغ و كلامهم المعجز ، و لما بلغ بهم الاعجاب بالشعر الجاهلى إلى آخر المدى و لم يعد أى أمل لاعترافهم بأدب قوم أو شعر أمة ، نظراً إلى ما كانوا يتمتعون به من مؤهلات أدبية عظيمة و مزايا شعرية ضخمة ، جاء الاسلام بأدب القرآن و هم بين نشوة أدبية و سكر بيانى ، لا يصمد أمامهم أدب أو أسلوب من الكلام . وقد أعرضوا عنه بادى ذى بدء ، ولم يروه صالحاً للتفكير فيه و الالتفات إليه ، ولكن القرآن كان لابد من أن يغلب عليهم بأدبه و أسلوبه المعجز ، و قد انتهج القرآن فى عدة مواضع منهج الأسلوب الشعرى الذى كانوا قد ألفوه ، ذلك لكى لا يتهموه بالحيد عن الخط الذى كانوا يسلكونه ، وبأنه ليس مما عرفوه ، فكان ذلك ضمن معجزات القرآن الكريم التى احتاروا أمامها ، و لكنهم لم يظهروا عجزهم وضآلة شأنهم فيه

حيال التحديات القرآنية ، رغم أنهم كانوا مأخوذين بسحر الأسلوب القوى الحكيم و الاعجاز البيانى الذى لمسوه فيه ، و ظلوا رافضين كل دليل ، و متعنتين بازاء كل برهان ، ولم يطأطئوا رؤسهم إلا بعد ما خذلهم العون الأدبى ، وفضحهم الادعاء البيانى فى قارعة الطريق .

و لقد تناول الباحثون الشعر الجاهلى وأصحابه بشئ كثير من الدقة والبحث ، فى بيان مكانته و قيمته و تفصيل طبقات الفحول من شعرائه ، و عرض نماذجه و شرحها ، وإن كان هناك بعض النقاد ينكرون الأدب الجاهلى بتاتاً ، و يؤكدون أنه منحول مدسوس ، و لكن ذلك ليس إلا تكذيباً لأعظم واقع تاريخى و ادعاءاً كاذباً اختلقه بعض الأدعياء استكباراً منه وتظاهراً بحقده على الأدب القرآنى المعجز .

الشعر المخضرم :

ولكن الشعر المخضرم ، فهو الذى أدرك العهدين الجاهلى و الاسلامى وعاشهما على السواء و قد وجد عدد وجيه من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية و الاسلام ، و قرضوا فى كل عهد من الشعر ما يتحلى به تاريخ الأدب العربى ، و قد سجل مؤرخو الأدب العربى قيمته الأدبية و بحثوا فيه و تحدثوا عنه .

و قد قال بعض مؤرخى الأدب العربى عن الشعر المخضرم أنه جاهلى فى أصله حيث إنه يتحد معه فى الايجاز وقوة التعبير وطريقة النظم ، وتعدد الموضوعات و براعة الوصف ، و لكنه يمتاز بالروح الدينية التى أضفاها عليه الاسلام .

« فلا ترى فيه يأساً من الحياة و تبرماً بمصيرها ، شأن الشعر الجاهلى ، بل تلمس فيه ارتياحاً شديداً إلى نعيم الآخرة ، إلى الجنة التى وعد بها القرآن المتقين ، و اكتسب الشعر المخضرم خصوصاً و اللغة تعابير جديدة من القرآن ، و ألفاظاً لم تكن مألوفة من قبل ، كالجنة و النار و الكفر و الايمان ، و الصلاة و الزكاة

و الركوع و الوضوء الخ . . . و هذه الألفاظ كانت معروفة فى الجاهلية ولكنها فى أكثرها لم تكن تدل على معانيها المستحدثة فى الاسلام . و اكتسب الشعر أيضاً نوعاً جديداً وهو الهجاء السياسى ، هجاء مر مقذع أليم ، كان بين شعراء النبى ﷺ و شعراء قريش و الأحزاب » (١) .

المخضرم لغة و مصطلحاً :

و قبل أن نتحدث عن أدب المخضرمين و نخوض فى شرح حياتهم وآثارهم الشعرية نريد أن نلمح إلى معنى « المخضرم » فى ضوء اللغة والمصطلح ، ففى القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، « المخضرم بفتح الراء ، من لم يختتن ، و الماضى نصف عمره فى الجاهلية و نصفه فى الاسلام ، أو من أدركهما ، أو شاعر أدركهما ، كلبيد ، وأسود أبوه أبيض ، والناقص الحسب ، والدعى ، ومن لا يعرف له أبوه ، أو ولدته السرارى ، و لحم لا يدرى أمن ذكر أم أنثى ، و الطعام التافه ، و الماء بين الثقيل و الخفيف » (٢) .

و جاء فى « خزانة الأدب » لعبد القادر بن عمر البغدادى :

« المخضرم بالخاء والضاد المعجمتين على صيغة اسم المفعول ، ونقل السيوطى فى شرح تقريب النووى عن بعض أهل اللغة كسر الراء أيضاً ، قال صاحب القاموس : هو الماضى نصف عمره فى الجاهلية و نصفه فى الاسلام ، و قيل من أدركهما ، و هذان القولان يعمان الشاعر و غيره ، و قيل : الشاعر الذى أدركهما ، وهذا هو المشهور و عليه اقتصر صاحب الصحاح ، ثم توسع حتى أطلق على من أدرك دولتين كزوبة بن العجاج و حماد عجرد فانهما أدركا دولة بنى أمية و دولة

(١) أدباء العرب لبطرس البستانى ج ١ / ص ٢٦٥ .

(٢) القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، مادة خضرم .

بنى العبـــاس ، و قال السيوطى فى شرح التقريب : المخضرم فى اصطلاح أهل الحديث هو الذى أدرك الجاهلية و زمن النبى ﷺ و لم يره ، وفى اصطلاح أهل اللغة هو الذى عاش نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الاسلام سواء أدرك الصحبة أم لا : فبين الاصطلاحين عموم و خصوص من وجه ، فحكيم بن حزام مخضرم باصطلاح اللغة لا الحديث ، و بشر بن عمرو مخضرم باصطلاح الحديث لا اللغة ، انتهى ، و فى تعريفه اصطلاح اللغـة نظر و تأمل ، ثم قال : و المراد بادراك الجاهلية ماقبل البعثة كما قال النووى فى شرح مسلم ، قال العراقى : وفيه نظر ، والظاهر أدرك قومه أو غيرهم على الكفر قبل فتح مكة ، فان العرب بعـده بادروا إلى الاسلام و زال أمر الجاهلية ، و خطب ﷺ فى الفتح بابطال أمرها ، و قد ذكر مسلم فى المخضرمين بشير بن عمرو و إنما ولد بعد الهجرة ، قال ابن رشيق فى العمدة قال أبو الحسن الأخفش : ماء خضرم كزمرج إذا تناهى فى الكثرة والسعة فمنه سمى الرجل الذى شهد الجاهلية والاسلام مخضرماً كأنه استوفى الأمرين ، قال ويقال ، أذن مخضرمة إذا كانت مقطوعة فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الاسلام ، و حكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه (١) ، قال : أسلم قوم فى الجاهلية على ابل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرماً ، و أنه لايكون مخضرماً حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبى ﷺ ، وهذا عندى خطأ ، لأن النابغة الجعدى و لبيداً قد وقع عليهما هذا الاسم ، و حكى على بن الحسن كراع : يقال شاعر مخضرم بجاء غير معجمة مأخوذ من الحضرمة وهى الخلط لأنه خلط الجاهلية و الاسلام ، و حكى ابن خلكان مع الحاء المهملة كسر الراء أيضاً » (٢) .

(١) هو الأصمعى .

(٢) خزانة الأدب ، للبغدادى ج ١ / ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

و يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى حيث يذكر طبقات الشعراء :

« و أصل المخضرم عندهم من أدرك الجاهليـة و الاسلام ، ثم أطلقوه على هذه الطبقة ، فقـالوا : شاعر مخضرم ، قال ابن برى : أكثر أهل اللغة على أنه مخضرم - بكسر الراء - لأن أهل الجاهلية لما دخلوا فى الاسلام خضرموا آذان أبلهم : قطعوا أطرافها ، (و كان اهل الجاهلية يخضرمون نعمهم فلما جاء الاسلام أمروا أن يخضرموا من غير الموضع الذى يخضرم فيه أهل الجاهلية) لتكون علامة لاسلامهم إن أغير عليها أو حوربوا ، و يقال لمن أدرك الجاهلية و الاسلام مخضرم - بكسر الراء - و أما من قال : مخضرم - بفتح الراء - فتأويله عنده أنه قطع عن الكفر إلى الاسلام (١) .

و جاء فى لسان العرب « لابن منظور » :

« و أصل الخضرمـة أن يجعل الشئ بين بين ، فاذا قطع بعض الأذن فهى بين الوافرة و الناقصة ، و قيل هى المنتوجة بين النجائب و العكاظيات ، و منـه قيل لكل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرم (بفتح الراء) لأنه أدرك الخضرمتين .. قال ابراهيم الحربى : خضرم أهل الجاهليـة نعمهم ، أى قطعوا من آذانها فى غير الموضع الذى خضرم فيه أهل الجاهلية ، فكانت خضرمـة أهل الاسلام بائنة من خضرمة أهل الجاهلية ، وقد جاء فى حديث أن قوماً من بنى تميم بيتوا ليلا وسبق نعمهم فادعوا أنهم خضرموا خضرمـة الاسلام ، و أنهم مسلمون فردوا أموالهم عليهم ، فقيل لهذا المعنى : لكل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرم ، لأنه أدرك الخضرمتين ، خضرمة الجاهلية وخضرمة الاسلام ، ورجل مخضرم لم يختن ، ورجل

(١) تاج العروس ، ج ٧ / ص ٢٨ / نقلا عن تاريخ آداب العرب ، للرافعى ج ٣ / ص ٦٢ .

مخضرم إذا كان نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الاسلام ، وشاعر مخضرم أدرك الجاهلية و الاسلام ، مثل لبيد و غيره ممن أدركهما ، قال الشاعر :

إلى ابن حصان لم تخضرم جدوده
كثير الثنا و الخيم و الفرع و الأصل

و قال ابن خالويه : خضرم خلط ، و منه المخضرم [بكسر الراء] الذى أدرك الجاهليه و الاسلام ، و رجل مخضرم [بفتح الراء] أبوه أبيض و هو أسود ، و رجل مخضرم ، ناقص الحسب ، و قيل هو الذى ليس بكريم النسب ، و رجل مخضرم النسب ، أى دعى ، وقد يترك ذكر النسب فيقال : المخضرم الدعى ، و قيل المخضرم فى نسبه المختلط من أطرافه ، وقيل : هو الذى ولدته السرارى ، و قوله :

فقلت أذاك السهم أهون وقعة
على الخضر أم كف الهجين المخضرم

إنما هو أحد هذه الأشياء التى ذكرناها فى الحسب و النسب » (١) .

الشعر فى الاسلام :

لم يفقد الشعر رواءه، وقوته فى الاسلام بل إنه دخل بعد ذلك مجالا شعرياً أوسع مما كان عليه فى الجاهلية، ذاك أن قريشاً لما حاربت النبى ﷺ ودعوته بالسيف و باللسان كليهما و نهض فرسانها بقتال المسلمين و قام شعراؤها بمحاربتهم و تثبيط هممهم بالهجاء، أقبل شعراء المسلمين مع شجعانهم فى الحرب ، على الدفاع عن حوزة الدين و عن شخصية النبى ﷺ ، و قابلوا الهجاء بالهجاء و الكلام بالكلام ، بعد ما أذن لهم النبى ﷺ بذلك ، فاكتسب الشعر نهضة أدبية ، وغزرت مادته واتسع نطاقه ،

(١) لسان العرب ، لابن منظور ج ١٥ / مادة خضرم .

و تشعبت طرقه .

كان ذلك عطاء الثورة التى جاء بها الاسلام ، للشعر العربى ، فاكتسب بها للشعر تأثيراً أبلغ فى النفس ، و رقت معانيه الشعرية بعد ما استخدمه المسلمون بايعاز من نبيهم ﷺ فى صالح الدين ، و مصالح الحياه الجديدة التى عرفها الناس بفضل الدعوة إلى الدين الخالص . و من هناك نشأ نوع جديد من الشعر ، لم يكن جاهلياً فى معناه و فى الهدف الذى توخاه ، و لكنه كان يمتاز عن الشعر الجاهلى فى رصانة السبك ، وجودة الأسلوب ، وبلاغة التعبير ، و عذوبة النغم ، كل ذلك جعل الشعر العربى يتطور و يتحسن ، و يخرج من ضيق الفضاء إلى الجو الواسع ، من نطاق القبائل الضيق إلى ساحة الحياة الواسعة بطريق أشمل و أجل .

و تلك هى المرحلة الجديدة للشعر التى عرفها الشاعر المسلم و انتقل إليها بخطوات حثيثة وقد تذمر المرحلة الجاهلية للشعر و سئم منها ، و أطلق عنان الخيال فى هذا المجال الجديد ، و قرض فيه من الشعر ما تيسر له لخدمة أغراض دينية و خلقية ، و تمكن من الجمع بين الشعر الجاهلى و الشعر الاسلامى ، و هو الذى نعبر عنه بالشعر المخضرم .

ثلاثة من الشعراء المخضرمين :

ولقد أولى مؤرخو الأدب والمغازى عناية فائقة بثلاثة من الشعراء المخضرمين ، ممن كانوا فى الدرجة الأولى، واختارهم النبى ﷺ للدفاع عن الاسلام بشعرهم ، وهم كعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، اختارهم للرد على مهاجاة شعراء قريش الخمسة الذين كانوا يعارضون النبى ﷺ و يقاومون شعراءه ، و هم عبد الله الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، و عمرو بن العاصى ، وضرار ابن الخطاب (١) و هبيرة بن أبى وهب .

(١) مستفاد من « أدباء العرب » لبطرس البستانى .

إن هؤلاء الفئة الخمسة من قريش إنما كانوا من أشد مناوئى الرسول ﷺ ، وما كانوا يتركون فرصة إلا وينتهزونها لتوجيه ضربات كلامية قاسية نحو المسلمين .

أما عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، فكان شديد الهجاء للمسلمين و الأنصار ، و قد قال فى يوم أحد قصيدة يقول فيها :

كل بؤس و نعيم زائل و بنات الدهر يلعبن بكل

و قد هجا المسلمين فى يوم أحد فقال :

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

فرد عليه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه بقصيدة مماثلة بحراً وقافية ، و هذا مطلعها :

ذهبت بابن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل

كذلك له قصائد عدة قالها فى يوم أحد ، ورد عليها حسان بن ثابت الأنصارى و غيره من شعراء الاسلام ، ثم أسلم ابن الزبعرى و مدح النبى ﷺ بأبيات من الشعر ، و اعتذر إليه فأحسن ، فقال فيها :

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

و مدحه فى قصيدة مطلعها :

منع الرقاد بلابل و هموم و الليل معتلج الرواق بهيم (١)

و كذلك لا يجهل أحد هجاء أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لرسول الله ﷺ و رد حسان رضى الله عنه على هجائه ، كما يقول :

هجوت محمداً فأجبت عنه و عند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوه و لست له بكفو فشركما لخيركما الفداء

و يقول :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نخب هواء

(١) أنظر السيرة لابن هشام ، و طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى .

و جاء فى الخبر : أخبرنا محمد بن عثمان الجعفرى عن عبد الرحمن بن محمد عن الهيثم بن عدى عن مجالد عن الشعبى ، قال أتى حسان بن ثابت إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله : إن أبا سفيان بن الحارث هجاك ، و أصعده على ذلك نوفل بن الحارث و كفار قريش ، أفتأذن لى أهجوهم يا رسول الله ؟ فقال النبى ﷺ : فكيف تصنع بى ؟ فقال : أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، قال له : اهجهم و روح القدس معك ، و استعن بأبى بكر ، فانه علامة قريش بأنساب العرب ، فقال حسان يهجو نوفل بن الحارث :

و إن ولاة المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم و والدك العبد

و ما ولدت أبناء زهرة منهم صميماً و لم يلحق عجائزك المجد

فأنت لئيم نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

قال : فلما أسلم أبو سفيان بن الحارث قال له النبى ﷺ : أنت منى وأنا منك ، و لا سبيل إلى حسان (١) .

وكان أبو سفيان فى يوم أحد يرد على حسان بن ثابت ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا فى عقب بدر عيراً لقريش فيها فضة فكانوا تنكبوا [بعد] طريق الشام و أخذوا طريق العراق فقال حسان :

دعرا فلجات الشام قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك

بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً و أيدى الملائك

إذا سلكت حوران من أرض عالج

فقولا لها : إن الطريق هنالك (٢)

(١) جمهرة أشعار العرب ، لابن أبى الخطاب القرشى ص / ٣٠ - ٣١ طبع دار صادر بيروت .

(٢) فلجة : بفتحتين المزرعة أو ما يشق فى الأرض للديار ، وهى الأنهار الصغار ★

فلما كان يوم أحد قال أبو سفيان بن الحارث يرد عليه :

شقيتم بها ، وغيركم أهل ذكرها ... فوارس من أبناء فهر بن مالك

حسبتم جلاد البيض حول بيوتكم ... كأخذكم فى العير أرطال آنك (١)

فقال أبو سفيان بن حرب لأبى سفيان بن الحارث : يا ابن أخى ، لم جعلتها آنك ، ! ! إن كانت لفضة بيضاء جيدة » (٢) .

أما عمرو بن العاصى القرشى فكان من فرسان قريش وأبطالهم فى الجاهلية ، و كان شاعراً حسن الشعر ، و من شعره فى أبيات له يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشى :

★ تفجر فى أرض الزرع كالقنوات .

الجلاد : التضارب بالسيوف فى القتال ، و لكن الشاعر يعنى هنا ضربات السيوف و طعنات الرماح .

المخاض : النوق الحوامل ، ليس لها واحد من لفظها .

الأوارك : جمع آركة ، الناقة التى ترعى شجر الأراك .

حوران : اسم جبل عن يمامن حرة ليلى القصوى ، وهو أدنى أعلام الشام .

عالج : رمل عالج فيما بين اليمامة و البصرة .

(١) شقيتم بها يعنى بالحرب ، يشير إلى هذه الهزيمة التى ابتلى بها الله المسلمين فى يوم أحد .

جلاد البيض : فيها إشارة إلى الفضة التى أصابوها فى عير قريش .

الآنك : الرصاص الأبيض ، على وزن أفعل بضم العين ، ما جاء على هذا الوزن مفرد غير هذا اللفظ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحى ص / ٢٠٨ .

إذ المرء لم يترك طعاماً يحبه ... و لم ينه قلباً غاوياً حيث يمما

قضى وطراً منه و غادر سبة ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما (١)

وله قصائد هجائية فى يوم أحد ، يقول وهو يهجو المسلمين والأنصار يوم أحد :

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا ... مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق

تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا ... لدى جنب سلع و الأمانى تصدق

فما راعهم بالشر إلا فجاءة ... كراديس خيل فى الأزقة تمرق

فرد عليه كعب بن مالك بقوله :

ألا أبلغا فهراً على نأى دارها ... و عندهم من علمنا اليوم مصدق

بأنا غداة السفح من بطن يثرب ... صبرنا و رايات المنية تخفق

لنا حومة لا تستطاع يقودها ... نبى أتى بالحق عف مصدق

و له قصائد أخرى فى هجو المسلمين رد عليها كعب بن مالك ، و قد كان شديد العداء للاسلام و المسلمين قبل أن يسلم ، فلما أسلم قبل الفتح انعكست القضية و أصبح من أحب و أقرب أصحاب النبى ﷺ إليه .

وكان ضرار بن الخطاب بن مرداس من فرسان قريش و لم يكن فى قريش أشعر منه ، و له قصائد تناول فيها المسلمين بالهجاء اللاذع يوم أحد ، وله فى رثاء أبى جهل شعر كذلك رواه ابن هشام فى السيرة .

« و لقى ضرار بن الخطاب يوم أحد عمر بن الخطاب فى الجولة التى جالها المسلمون ، و كان قد آلى أن لا يقتل يومئذ قرشياً فضربه بعارضة سيفه و قال : أنج يا ابن الخطاب ، فضرب الدهر ما ضرب ، وولى عمر بن الخطاب ، فسمعت

(١) كتاب الاستيعاب للذهبى ج ٢ / ص ٤٣٦ .

أم غيلان بذكر ابن الخطاب فظنته ضراراً ، فقدمت عليه فقال لها قوم : قدمت و هو غائب ، فأتت عمر فأخبرته بالذى جاءت له فأثابها » (١) .

و مما قاله فى يوم أحد و هو يهجو المسلمين :

إنى وجدك لولا مقدمى فرسى ... إذ جالت الخيل بين الجزع والقاع
ما زال منكم بجنب الجزع من أحد ... أصوات هام تزاقى أمرها شاعى
وفارس قد أصاب السيف مفرقه ... أفلاق هـامته كفروة الراعى (٢)

أما هبيرة بن أبى وهب بن عامر بن عائذ بن عمران بن مخزوم فكان من شعراء قريش كذلك ، وكان من أشد الناس عداوة لله و لرسوله فعاقبه الله بالطرد و الخمول ، و ذلك هو الذى يقول فى يوم أحد :

قدنا كنانة من أكناف ذى يمن ... عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنـانة أنى تذهبون بنـا ... قلنا النخيل فأموها و ما فيهـا (٣)

و مطلعها :

ما بال هم عميد بات يطرقنى ... بالود من هند إذ تعدو عواديها

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم ... إلى الرسول فجند الله مخزيهـا
أوردتموها حياض الموت ضاحية ... فالنار موعدها و القتل لاقيهـا

(١) طبقات فحول الشعراء ، لابن الجمحى ص / ٢١١ .

(٢) الجزع : منعطف الوادى — القـاع : المنخفض من الأرض — تزاقى : تصيح — شاعى : أراد بها شائع ، و لكنـه قلب — فروة : و يروى مكانها قروة : و هو إناء من خشب يحملها الراعى .

(٣) النخيل يريد بها مدينة الرسول ﷺ ، وزعم البعض أنها النخيل بالتصغير ، بئر قرب المدينة ، (أنظر طبقات فحول الشعراء) .

كما و قد رد عليه كعب بن مالك ، بقصيدته الطويلة التى بدأها بقوله :

ألا هل أتى غسان عنا و دونهم ... من الأرض خرق سيره متنعع
صحار و أعلام كأن قتامهـا ... من البعد نقع هامد متقطع (١)

موقف الاسلام من الشعر :

و بعد أن مررنا بهذه اللمحات من أحوال هؤلاء النفر من شعراء قريش ممن كانوا سبباً فى الواقع لوجود الشعر الاسلامى فى عهـد النبى ﷺ ، و خاصة شعر الدفاع عن الاسلام و عن نبى الاسلام ﷺ الذى تولاه الشعراء الثلاثة بوجه عام ممن سبق ذكرهم ، كعب بن مالك ، حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم ، وقبل الحديث عن الشعراء المخضرمين ، أحب أن أوضح موقف النبى ﷺ من الشعر ، وصلته به و علمه له ، واستحسانه إياه ، فقد يظن بعض من أغفل هذا الجانب الأدبى المهم أن الاسلام لا يشجع الشعر ، و لا يراه ملائماً للاتجاه الدينى .

و لو لا أن النبى ﷺ أولى الشعر أهمية قصوى نظراً إلى ما كان له من جولة و صولة فى حياة العرب ، و إلى ما كان له من دور مهم فى حياتهم القبلية و الاجتماعية لما وجد فى الاسلام شعر ولا شاعر ، ولتوقف التاريخ عن تسجيل هذا الركن الأدبى المهم ، و الاحتفاظ بهذا التراث الشعرى الضخم ، و واجه تاريخ الأدب العربى نقصاً كبيراً يقطعه عن ماضيه الأدبى قطعـاً باتاً ، و سقطت حلقة قيمة من الاستمرار التاريخى اللغوى و التسلسل الأدبى الشعرى .

لذلك كان اعتناء النبى ﷺ بالشعر مقضياً له وراء حكمة دينية عظيمة فاعتنائه بالجانب الشعرى فى الاسلام تأكدت أهمية الشعر الجاهلى الذى كان منتهى العرب فى الفصاحة و البلاغة ، و كان قمة عظمتهم الأدبية ومفاخرهم البيانية ، وفى خلال

(١) ابن هشام (السيرة النبوية) ج ٣ / ص ١٣٦ — ١٣٩ ، (متنعع) معناه مضطرب ، و المراد من (أعلام) الجبال المرتفعة .

هذا المرح الأدبى و العلو البلاغى الذى كانوا يعيشون و يتظاهرون به نزل القرآن الكريم الذى تحداهم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، والنتيجة معلومة لا خفاء فيها .

فكيف يمكن رفض قيمة الشعر فى الاسلام ، وإنكار مكانة الشعر الجاهلى الأدبية والبيانية ، بصرف النظر عن قيمته المعنوية التى لاتهم المؤرخ المسلم حينما يؤرخ آداب اللغة العربية ويسجل ملاحظاته عن النواحى البلاغية والأدبية الخالصة للكلام العربى .

ثم إنه كان لابد مع ذلك من صرف عنايات الشعراء من سفسفة المعانى و ركاكة المفاهيم إلى نقاء المفاهيم و جودة المعانى ، و تجريد الشعر عما تعود عليه الجاهليون من وصف مذموم و هجو قبيح ، و تهجين و تقبيح و تعيير ، و تركيز على سلبيات ، و مدح شائن ، وفخر و اعتزاز و استعلاء و مكابرة على الحقائق ، و رفض للقيم الخلقية ، و قول ما لا يفعلون ، و قد أشار إليه القرآن الكريم فقال « و الشعراء يتبعهم الغاوون » .

كان لابد من التاكيد على أن الشعر ليس أداة للتسلية واللهو والفخر والمجون ، و ليس مجالا للتيه و الغواية ، و إنما هو أدب يرتقى لم يخلق لمثل هذه الأغراض السافلة و الغايات الخسيسة ، و قد نال الشعر العربى طريقه الواضح المستقيم نحو الأغراض النبيلة بعد ما تناوله الاسلام بالنقد و وضعه على محك الامتحان .

أما إذا أهمل خطب الشعر العظيم ، و ختم عليه بالتحريم أو بالكراهية و المقت على أقل تقدير فليس معنى ذلك إلا رفض الأساس الذى بنى عليه القرآن الكريم تحديه ، ودعا من أجله العرب الجاهليين إلى النظر فى الاعجاز الذى ينطوى عليه ، و لذلك فقد كان الرسول ﷺ شديد الاعتناء بالشعر ، يأمر أصحابه الشعراء بالرد على شعر المشركين من قريش ، و يطالبهم بالانشاد مع اطلاعه الواسع على ما فيه من حكم و سحر ، و ما فيه من تأثير كتأثير السلاح و سيطرة على النفس و نفوذ فى الأعماق ، فقد روى الخطيب و ابن عساكر عن حسان رضى الله عنه

أن النبى ﷺ قال له : « اهج المشركين وجبريل معك ، إذا حارب أصحابى بالسلاح فحارب أنت باللسان » وجاء فيما رواه ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن محمد بن مسلمة بلفظ « يا حسان أنشدنى من شعر الجاهلية ، فان الله قد وضع عنك آثامها فى شعرها وروايته » وقال لحسان رضى الله عنه « قل وروح القدس معك (١) » .

وإذا كان هناك نفر من المستشرقين يزعمون أن الاسلام انتشر بين العرب انتشاراً جغرافياً سياسياً دون أن يجد الاسلام الثقافى طريقاً إلى قلوب المسلمين ، إلا فى العصر العباسى فذاك زعم باطل لايستند إلى حجة ، لأن الأدب العربى قد انصبغ بالصبغة الاسلامية منذ عناية الرسول ﷺ و اهتمامه الكبير بالشعر .

وفيما يتصل بموضوع اهتمام النبى ﷺ بالشعر أمراً و علماً به ، و استحساناً وارتياحاً له ، فمجاله واسع ، سيتضمن بحثنا فى أدب المخضرمين و دراستنا لحياتهم و آثارهم كل هذه الجوانب باذن الله تعالى .

و سنؤسس هذا البحث (إن شاء الله تعالى) على ثلاثة أبواب رئيسية ، كل باب يشتمل على ذكر طائفة من الشعراء المخضرمين ودراسة شعرهم ، و تسجيل نماذج من كلامهم و بيان الأهمية التى يحملها من النواحى الأدبية ، و التعبيرية ، مع الاشارة إلى الواقع الذى يقوم عليه و يفسره .

و سنبدأ الكلام فى الباب الأول حول الثلاثة من الشعراء المخضرمين الذين تقدم ذكرهم فى سياق البحث عن الشعر المخضرم ، و وقع عليهم اختيار النبى ﷺ للرد على المشركين ، بوجه عام ، و هم :

١ — كعب بن مالك — ٢ — حسان بن ثابت الأنصارى — ٣ — عبد الله بن رواحة رضى الله عنهم ، و سيكون حديثنا القادم ـ باذن الله ـ حول الشاعر المخضرم كعب بن مالك رضى الله عنه .

(١) و لمزيد الاطلاع راجع مقدمة عبد القاهر الجرجانى على كتاب دلائل الاعجاز .

التضامن الاسلامى فى العصر الحـــديث
ضرورته و وسائله

[الحلقة الأولى] الدكتورة نادية شريف العمرى

توطئـــة :

إن التضـــامن الاسلامى مطلب كل فرد مسلم ، و أنشودة كل مؤمن ناضج الفكر متقد المشاعر متيقظ القلب ، و غاية كل مجتمع عاش فى ظل الاسلام و نعم بعدالته ورحمته و تسامحه ، و تمتع إخوانه برغد العيش ، و عرف فى حماه مدلول الأمن على النفس و الشرف و المـال ، و ذاق فى رحابه طعم الحرية فى أوسع معناها وفى شتى ميادينها : حرية الرأى والفكر و الكلمة ، حرية العقيدة و العبادة ، حرية التعلم و ممارسة العمل المشروع .

والتضامن فى واقع الأمر عنوان القوة و مفتاح المجد ، و مقدمة حصينة لكل فلاح و لكل نجاح فى الشئون العامة و الخاصة ، و الداخلية و الخارجيـة ، و هو قانون هام من قوانين المجتمعات المتحضرة الراقية ، و عنصر جوهرى من عنـاصر الحياة السعيدة الملائمة للفطرة الانسانية .

و التضامن الاسلامى لازم من لوازم عقيدة التوحيد ، ودعامة من دعائمها ، و إذا كانت الحاجة ماسة فى كل وقت لتضامن المسلمين و اجتماع كلمتهم و اتحاد صفوفهم فهى أبرز ما تكون فى هـــذا الوقت المعـاصر ، الذى تجمعت فيـه قوى الشر و العدوان ضد المسلمين ، يشير إلى هذا الوضع ما صح فى دلائل النبوة عن النبى ﷺ (توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقـال

قائل : أومن قلة نحن يومئـذ ؟ قال : (لا ، بل أنتم كثيرون و لكنكم غثاء كغثاء السيل ، و لينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم و ليقذفن فى قلوبكم الوهن) ، قال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت) (١) .

فالظروف الحالية المحيطة بالمسلمين تفرض عليهم حتمية التضـــامن الاسلامى و وحدة الصف وإزالة الخلافات الجانبية ، ذلك لأن العدو متربص بهم الدوائر ، و هو يتخذ من تفرق كلمتهم و من تمزق وحدتهم منفذاً لتحقيق أغراضه الدنيئة ، و أفكاره الاستعمارية الخبيثة .

لقد استطاعت الصهيونية أن تلم شعثها من عوالم مختلفة ، و آفاق متبـاعدة و أن تتفق مع الشيوعية الملحدة و مع الاستعمار الحاقد لتتخذ موطناً لها فى قلب البلاد العربية بعد أن اقتطعت هذا الجزء الغـالى من الديار الاسلامية ، و من هذا الموطن يبيتون مؤامراتهم و يضعون خططهم لتمزيق الفكر الاسلامى و للقضـاء على الوحدة الاسلاميـــة ، و يعملون متآزرين لاثارة الفتن و الأزمات و الاضطرابات السياسية و الاقتصادية فى البلاد الاسلامية ، و لم يتوانوا لحظة واحدة عن إثارة أسباب العداء بين طبقات الشعب الواحد ، حتى أصبحت الجماعة الواحدة و الشعب الواحد طبقـات متحاربة متبـاغضة ، ساحة المعركة من ميدانها الحقيقى إلى داخل البلد الواحد ، فهذا يمينى و ذاك يسارى ، و هـــذا تقدمى و ذاك رجعى ، و هـــذا يقتل ذاك و بعضهم يأخذ برقاب بعض ، باسم هذه الشعـارات الجوفاء التى أثارها العدو المـاكر . .

والدعوة إلى التضامن الاسلامى لا تأتى تلبية للحاجة الملحة و للظروف المحيطة

(١) رواه أبو داود و أحمد بن حنبل ـ ٥ / ٢٢٥ .

بالأمة الاسلامية فقط و إنما هى استجابة لأمر إلهى ، و تحقيق لمطلب دينى ، قال الله تعالى : (و ألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) (١) و قال جل من قائل : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) (٢) وقال جل شأنه : (إن الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم فى شئ) (٣) وقال سبحانه : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) (٤) و قال : (و لا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات و أولئك لهم عذاب عظيم (٥) .

و قال رسول الله ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (٦) وقال : (المؤمن أخو المؤمن لا يخذله و لا يقتله ولا يسلمه ، بحسب امرئ من الاثم أن يحقر أخاه) وقال : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى و السهر) (٧) .

و التضامن الاسلامى ضرورة لازمة لحماية ديننا و دنيانا من الغزو الفكرى الهدام الذى يحمل راية الالحاد و الفوضوية و الاباحية و الشيوعية ، و يعتقد — افتراء و بهتاناً و ظلماً و عدواناً — أن الدين أفيون يخدر الشعوب .

والتضامن الاسلامى تعبير صادق عن المشاعر القوية التى تحملها قلوب الملايين

(١) الأنفال / ٦٣ . (٢) الحجرات / ١٠ .
(٣) الأنعام / ١٥٩ .
(٤) آل عمران / ١٠٣ . (٥) آل عمران / ١٠٥ .
(٦) رواه البخارى و الترمذى و النسائى و أحمد . (٧) البخارى .

من المسلمين الذين يحسون إحساساً حقيقياً بالروابط الثقافية و التاريخية و الجغرافية و الاجتماعية . . يؤكد هذا تزايد أعداد حجاج بيت الله الحرام عاماً بعد عام ، و اجتماع قادة الفكر ، والعلماء و أهل الحل و العقد ، و تبادلهم وجهات النظر فى القضايا الاسلامية المطروحة على بساط البحث .

يقول الأستاذ محى الدين القابسى فى كتابه التضامن الاسلامى : (. . . . والتضامن الاسلامى ما هو إلا مبادرة طبيعية من الشعوب الاسلامية التى تعد بالملايين لارساء قواعد حياتها على أسس متينة فى عالم تتنازعه المطامع وتمزقه الأهواء و تشن فيه المبادىء الملحدة حرباً شرسة ضد التراث الحضارى الانسانى (١) .

أسباب انقسام الأمة الاسلامية :

لقد تكالبت قوى الشر و وقفت مجتمعة ، متحدة ، متماسكة الأيدى ، توجه للعالم الاسلامى ضربات قاسية وشديدة مريرة ، ضربات دامية مرهقة، ضربات حاقدة لئيمة خبيثة ، حتى كادت تذهب بالأنفاس وتخمد الحركة ، لولا أن من الله علينا من فضله فأبقى لنا بقية من حياة ، و شعلة تلتف حولها ، و مبادئ تجمع بيننا و أهدافاً نرنو إلى تحقيقها و قبلة نتوجه إليها و شعائر نؤديها مجتمعين ، و ركائز يقوم عليها كياننا الاسلامى الممتد عبر الدهور والأزمان ، منذ انبثاق فجر التوحيد إلى يومنا هذا .

أجل لقد تحالفت قوى الشر والضلال من صهيونية ماكرة شرسة ، و صليبية حاقدة مريعة و شيوعية خبيثة لئيمة لتطعن فى الجسم الاسلامى و الكيان المؤمن بالله المعتصم بحبله ، وكانت أولى تلك الضربات إبعاد الخلافة الاسلامية عن الوجود و الواقع الانسانى ، و الاطاحة بها وتحطيم دعائمها ، و بث الدعاية الباطلة ضدها ، و اتهامها بشتى الاتهامات الشنيعة كيلا يفكر المسلمون باعادتها مرة ثانية ، وألصقوا

(١) التضامن الاسلامى ص ٢٨ .

بها تهمة التخلف و الرجعية و التعارض مع النهضة و التقـدم و الرقى ، و اتهموا الخلافة العثمانية بالرجل المريض الضعيف الذى يجب بتره و التخلص منه و إلا يبقى وصمة تخلف فى جبين البشرية ، دبروا المؤامرات الخبيثـة للقضاء على الخلافة ، وصدرت المؤلفات الضخمة لتطرح مائة مشروع لتقسيم الممتلكات العثمانية بين الدول الأوروبية على أن يكون للصهيونية نصيب منها ، و خدعت بعض الأشخاص من الأتراك و العرب و غررت بهم و ضللتهم بادعاءاتها الباطلة و أمسكتهم معاول فاتكة حادة قوية لهدم الكيان الاسلامى و لتمزيق وحدته و تفتيت قوته ، فنادوا كالببغاوات بالقومية ودعوا إلى تتريك اللغة و أجهزة الحكم و الادارة ، والمكاتبات الرسمية ، و كان ما كان من مأساة القوميـة لسلخ تركيا عن الوطن الاسلامى . . و على الطرف الآخر . . العربى . ظهرت دعوة قوميـة ، تسير فى الاتجاه السابق نفسه .

الضربة الثانية :

استطاعت أن تمزق كيان الأمة الاسلامية إلى أجزاء متعددة و أن تجعل من الدولة القوية دويلات ضعيفة ، و من البلد الواحد المتعاضد بلدان متباعدة متعادية . . كل هذا بقصد أن تبسط الدول الأوروبية الاستعمارية سلطانها على هـذه الأجزاء ، و فعلا أخضعتها إلى سلطتها الأوروبية ، لتستغل خيرات تربتها و أرضها ، و لتستخدم طاقاتها البشرية لتحقيق أطماعها العدوانية و الاقتصادية ، و لتبنى مجدها على أكتاف أناس عاملين بصمت ، مأخوذين بشدة الضربات المتتالية . . فسوريا و لبنان خضعتا لنفوذ فرنسا ، و مصر و السودان و العراق و الأردن خضعت لأطماع انجلترا ، و الشمال الأفريقى خضع لسيطرة فرنسا ، و الهنـد – لسلطان انجلترا ، وبذل الاستعمار مابذل لابعاد الوسط الأفريقى عن التأثر بالدين الاسلامى .

الضربة الثالثة :

تمكنت من بذر بذور الاختلاف و الشقاق و التناصر و التصارع بين تلك الدويلات الاسلامية ، فلكل دولة اتجاهها السياسى المختلف عن اتجاه الدولة الأخرى ، و لكل منها أهدافها الخاصة ، فتلك تعمل لحساب الشيوعية الماركسية ، تنفق لها و تدعو لمبادئها ، و تحمل شعارها ، و تدور فى فلكها حيث دارت يمنة أو يسرة ، و أخرى تعمل وفق سياسة غربية استعمارية لا تستطيع حراكاً ، ولا تنفذ خطة إلا باذن من سيدتها و باشارة منها .

الضربة الرابعة :

إنها صنعت على عينها و بيدها رجالا من العرب المسلمين ينادون بفصل الدين عن الدنيا ، و إبعاد الدين عن الحياة ، و ترك ما لقيصر لقيصر وما للدين للدين ، هذه الدعوة الضالة المضلة هدفت أول ما هـدفت إلى إبعاد الاسلام عن مجالات الحياة لأن عدد المسلمين فى البلاد العربية يبلغ (٩٨ ٪) .

وأشد من هذا وذلك أنها أبعدت الرجال المخلصين الواعين عن سياسة الدول الاسلاميـة و إدارة دفة الحكم باتهامهم – زوراً و بهتاناً – اتهامات باطلة ، أو بقتلهم بأيد ماجورة حقيرة . . وقد لعبت دوراً مريعاً فى تبنى السياسة الانفرادية لكل دولة ، و إحداث اضطرابات داخلية لشل حركة التقدم و النمو و الازدهار الحضارى و العمرانى ، و لتوجـه الجهود الاسلاميـة نحو أمور جانبية تبعدهم عن التفكير فى أهمية لم الشمل و الوقوف على قدم واحدة لايجاد حلول جذرية ناجعة لتفادى الأخطار المحدقة .

وكل هذه الضربات القاسية الشديدة كانت بمعاول العدو المشترك (الاستعمار و الصهيونية و الشيوعية) . . و قد أثرت هذه الضربات الشنيعة فى كيان الأمة الاسلاميه فتمكنت من تفريق كلمتها و تمزيق وحدتها .

[يتبع]

صور و أوضاع :

ملهاة جديدة فى الحضارة المعاصرة

واضح رشيد النـــدوى

للحضاوة المعاصرة محاسن كثيرة ، فقد فتحت مجالات واسعة لرفاهية الحياة و توسيع الفكر ، و سيرت التقارب و الالتقاء بين مجتمعات إنسانية مختلفة و سخرت الآلة و وضعتها فى تصرف الانسان ، و وضعت قاعدة متينة للعلم و البحث فخرج الانسان من مدار الأرض ، و حلق فى الفضـاء ، و بتسخير السرعـــة و القوة ، تغيرت المقاييس ، والموازين وتغيرت الظروف الطبيعية ، و استرد الانسان الأرض من البحار ، و فجر الأنهـــار من الجبال ، و حول الصحارى إلى مسارح خضراء ذات خمائل ، و للانسان انتصارات كثيرة و هو يتقدم فيها و تظهر مجالات جديدة لتقدمه و اكتشافه ، و تسخيره للطاقات الكامنة .

و قد عدد القرآن الكريم عدد آيات الله و ما أعطى الانسان من صلاحية العمل ، و التسخير ، و ذكر أن الله تعالى أكرم عبـاده فى الأحقاب الماضية من التاريخ فنحتوا من الجبال بيوتاً ، وفجرت لهم الأنهار ، و فتحت لهم الأرض عن كنوزها و كانت لهم جنات و عيون لكنهم ظلموا أنفسهم و كانوا من المتعـالين ، فطغوا فى الأرض ، و أكثروا فيها الفساد ، « فصب عليهم ربك سوط عذاب » و ذكر القرآن الكريم الانسان الذى يغتر بقوته « إن ربك لبالمرصاد » .

إن للحضارة المعاصرة محاسن كثيرة و لها انتصارات كثيرة ، و لكن دراسة القرآن تدل على أن الانسان كانت له جولات كثيرة فى التـاريخ الطويل و قامت

حضارات عاشت مآت السنين ، ثم اندثرت هذه الحضارات فلم يبق لها أثر ، وصارت كما يقول القرآن الكريم « كأن لم يغنوا فيها » ، وكل من يدرس التاريخ يلتقى بهذه الحضارات المندثرة ، كما يعثر عليها الباحثون فى عمليات الحفريات فيجد آثارهـا مدفونة تحت الأرض . فمنهم من خسفت به الأرض ، ومنهم من أخذته الصيحة ، فدمرت تدميراً .

تسير الحضارة المعاصرة سيرها الحثيث إلى عاقبتها ، فقد أصيبت بأمراض بل بأوبئة تقضى عليها ، وتأكلها ، ونشأت مشاكل استعصت على المعـالجين و إن كان عددهم قليلا ، فانها من سوء حظها لم تنجب علماء و باحثين يقومونها ، و يعالجونها بل من مساويها أنها أنجبت مفتونين بها ، لا يعرفون إلا محاسنها ، ويصرفون أنظارهم عن مساويها ، وأمراضها ، فينظرون إلى ارتفاع الانسان إلى الفضاء ويصفقون له ، و لا ينظرون إلى المتاهـات و المزالق الكثيرة التى يتعثر فيهـا ملايين فى ظل هذه الحضارة .

كان من مساوىء الحضارة المعاصرة الجوهرية هبوط قيمة الانسان و ارتفاع قيمـة غيره من الحيوانات ، و الآلات الصماء ، و الاهتمام الزايد بصيانة الآلات و جلائها و تربية الحيوانات و ترويضها ، والرفق بها ، حتى الأسود ، و النمور ، و الأفيال ، و الطيور ، و الذئاب لها حظائر ، و قوانين حمايتها ، لكيلا تتلاشى أجناس منها ، و تسن لها قوانين ، و يمنع الصيد فى كثير من الغابات ، و أكثر من ذلك ما يشاهد فى الهند من تحريم لصيد أصنـاف من الطيور ، و الوحوش ، وما يفرض على من يخرق هذه القيود من عقوبات مشددة ، و تعد عدة طيور ، قومية ، ومحترمة ، وطيور و بهائم مقدسة فهى ممنوعة من الصيد ، و الذبح ، و إذا تعدى أحد ثارت مشاعر و وقعت حوادث حتى على قتل بعض الحشرات ، وتسفك دماء الانسان .

و لكنك فى أرقى المناطق الحضرية لا تسمع عن قوانين لصيانة الانسان ولا تسمع أن مشاعر الانسان ثارت على قتل مجموعة من الانسان ، أو على تجريح الانسان ، ولا تسمع أن جمعية قامت للرفق بالانسان ، أو لمؤاساة الانسان بمجرد كونه إنساناً ، فهل كان الانسان أحط منزلة من الحيوانات ، و الآلات ، و الطيور و الحشرات ؟ .

إن هناك طبعاً ميثاقاً لحقوق الانسان ، و لكنه ميثاق لا غير ، و لا يعنى إلا التوقيع على معاهدة ، و هى معاهدة مبهمة غامضة يشرحها كل فريق حسب مصلحته ، ويكتفى العالم بالاحتفال بعيد التوقيع عليه ، وهناك منظمة العفو الدولى ، و هى تهدف فقط إلى جمع إحصائيات عن خرق حقوق الانسان ، فتذيع أسرارها و لكن قلب الانسان المتحضر قد أصبح آلياً أو حيوانياً بحيث إنه لا يتأثر بمأساة الانسان بل بلغت قساوته حداً يتسلى و يلهو بمأساة بنى جلدته .

لقد نشرت صور مأساة صبرا و شتيلا ، و آسام و أفغانستان ، صور القتلى والجرحى ، والذين أحرقوا بالقنابل ، صور الأطفال الصغار الذين وضعوا فى طوابير الموتى ، ومقابر جماعية ، و محارق ، ولكن لم يثر ذلك ضمير الانسان المتحضر .

و كيف يثور ضمير الانسان المتحضر ، فان الحضارة التى يتمجد بها الانسان هى حضارة المسئولين عن أنقاض هيروشيما و ناجاساكى ، وعلماء و مفكرين أنجبتهم ثورة فرنسا الاشتراكية و الثورة البلشفية التى أبادت أجناساً من البشر ، و القادة الذين أثاروا حربين كونيتين كلفتا ملايين من الناس الذين أبيدوا و شردوا ، وقتلوا ، وحضارة باحثين وفلاسفة أجروا تجاربهم على الحيوانات لدراسة الانسان ، و نظروا إلى الانسان فى مرتبة الحيوانات ، فكيف ينشأ الضمير الانسانى ؟ .

أليس من علامات موت الضمير الانسانى أنه يشاهد صور المآسى الانسانية فى الصحف ، و على شاشات التلفزيون ، و الأفلام ، و يسمع أنينه ، وصرخاته ، يرى طوابير الموتى ، بل أكواماً من الموتى ، ويشاهد جرائم القتل الجماعى ومناظر

إراقة الدماء ، و التعذيب ، يسمع و يرى ولا يتحرك ، ولا يضطرب ، و تسير الحياة بمتعها و بهجتها و نعيمها مجراها الطبيعى .

كان الروم و الفرس فى الجاهلية يشعلون النار فى ثياب العبيد ، و الأسرى و يتنعمون فى محافلهم بمنظر حرقهم ، و كانت المصارعة بين الانسان و الوحوش الضارية متعة للروم وخاصة عند ما كان الانسان الجريح يلفظ أنفاسه الأخيرة فكان يعتبر منظراً خلاباً ، ساحراً ، و لكنه كان محدوداً ، و كان متعة لطبقة محدودة ، و لكن هذه المناظر ، مناظر شقاء الانسان الحية أصبحت ظاهرة عامة فى الحياة المعاصرة ، لا يدينها ولا يستنكرها أحد ، وإذا حدثت مأساة تنتقل فرق التصوير ، لاعداد برامج حية و تنقل إلى العالم ، و ليس للانذار ، و التحذير . أو لمعونة المنكوبين ، أو للاعلام بل كعادة للتسلية والترفيه ، ولا تحصل له نتيجة إلا ما يحصل بقراءة رواية دامية أو مسرحية و مأساة ، بل ملهاة .

إن المآسى الانسانية التى يقتل فيها الانسان جماعياً ويعذب فيها آخرون ، لا تخفى على أحد اليوم ، ولا تخلو صحيفة عالمية من صور معاناة الانسان ، ولكن هل ألف أحد جمعية لصيانة الانسان ، أو جيشاً لمحاربة من يحارب الانسان ، و منع العالم من التدمير و الفساد .

و الغريب فى الأمر ، أن الذين يريقون دماء الانسان و يهدرون كرامته فى مختلف أنحاء العالم يحتمون بالكنيسة و هم أتباعها ، و منهم من يساهم مساهمة فعالة فى التنصير ، وجمعياتهم منتشرة فى العالم ، ولكن الكنيسة لا تصدر بياناً تدين فيه هذه المآسى و تندد بالمسئولين عنها ، و هى على معرفة بها .

كان الدين آخر رادع و وازع ، و إن انسحابه عن الميدان أو مساهمته فى إبادة الانسان ، و تبريكه لها خطر كبير ، فمن يمنع الحضارة المعاصرة من عاقبتها المحتومة « فدمرناها تدميراً » ولكن لن تفنى هذه الحضارة وحدها بل و يفنى معها المتذيلون بها ، و من ربط مصيره بها .

تركيا بالاسلام — و تركيا بدون الاسلام

تجدد اعتقال الاسلاميين فى تركيا ، بعد أن كان يتوقع انهيار الكمالية فيها ، وكل من يتابع تاريخ تركيا لا يستطيع أن يخلص إلا إلى نتيجة واحدة ، وهى أن القيادة التركية لا تزال تسير على الخط القديم للقضاء على صلاحية تركيا الأصلية ، وقطع صلتها عن ماضيها المجيد ، وتقوم هذه النتيجة على دراسة التاريخ التركى الماضى ودراسة حاضر تركيا دراسة مقارنة ، ويصادف الدارس لتاريخ تركيا سلسلة متواصلة من الخيانة القومية من عهد مصطفى كمال الذى انتصر فى المعركة العسكرية و انهزم فى المعركة الفكرية والثقافية ، ففى الوقت الذى تمكنت فيه القيادة الكمالية التى لا تزال تسيطر على تركيا ، من إنقاذ تركيا عسكريا ، و منعها من أن تبتلعها القوى الغربية الصليبية بالسلاح ، استسلمت القيادة فكرياً و ثقافياً ، و قدمت تركيا هدية على صحن بكل احترام و تقدير إلى الصليبية العالمية الحاقدة و الصهيونية الماكرة .

و لم تقتصر هذه العملية عملية تسليم تركيا إلى الأعداء ، والقضاء على شخصيتها المتميزة ، وإبادة صلاحياتها الموروثة ومسخ طبيعتها ، على تركيا وحدها ، وإنما كانت تركيا تجربة طبقت على الدول الاسلامية الأخرى التى خضعت للاستعمار الغربى ، وأنشئت فى كل بلد إسلامى ذى نفوذ فكرى وقوة عسكرية ، وقيادات ذات مسئولية معنية .

و تستمر هذه العملية بقوة فى تركيا و تكب القوى الاستعمارية على تشويهها و سلخها كلياً من خصائص ماضيها التى صعدت تركيا بها إلى أوج المجد ، و صارت قوة عالمية كبرى قبل تمزقها بمؤامرة الصليبية و الصهيونية .

و قد انكشفت حقائق هذه المؤامرة و لم يعد ذلك فى الخفاء ، بعد أن نشرت مذكرات لقادة الخلافة العثمانية فى العهد الأخير ، و مذكرات قادة الدول الأوربية ، و ظهرت الأيدى الصهيونية و الصليبية التى قامت بدورها فى خرق هـذا الحصار العظيم الذى كان رادعاً أخيراً عن الغزو الأوربى .

و رغم انكشاف هذه الحقائق من الغريب للغاية أن تقع القيادة فى الدول الاسلامية و خاصة فى تركيا فى نفس الشبكة التى ينصبها الأعداء وتستسلم لدعايتهم ، وتقبل منطقهم عن الاسلام و المسلمين ، و تنفذ خطتهم المدبرة ضد هذه البلاد .

إن أى تركى يستطيع أن يقارن بين ماضى بلاده و حاضره ، الماضى الذى وصلت فيه قوات بلاده إلى أوربا . توغلت فيها ، وبقيت فيها مدة من الزمن وأرعبت العالم كله بجراءتها وبسالتها ، و روح الشهادة فى جنودها ، و تغلغل العاطفة الدينية العميقة التى كانت تقلل قيمة كل غال ونفيس وكل متعة أمام وعد الآخرة ، وحب الرسول ﷺ ، وكانت المآذن لجنودها أكثر إثارة للعواطف ، وبعثا على خوض المعركة و احتمال المكروه فيها من الأناشيد الحربية ، و كان صوت الأذان أقوى و ألذ على سمعهم من النشيد .

انطلقت تركيا بهذه العاطفة إلى المجد فصارت قوة عالمية ، و سيطرت على العالم أكثر من قرنين ومثلت الاسلام والمسلمين ، وصارت رمزا لهما ، وامتزجت بطبيعة التركى ، الشهامة و الشوكة ، و الذكاء ، و الجمال ، و كان للتركى مغى يفهم ، و تفسير يقبل ، و وزن يلمس فى العالم .

تلك تركيا بالاسلام ، و بالانتماء إلى الرسول ﷺ وصحابته ، وكل من يلاحظ تركيا فى الخريطة ، قبل مائة سنة تقريباً يجدها ممتدة مترامية جامعة بين الشرق و الغرب ، تتوسط فى القضايا العالمية وترجح كفة الميزان ، تطلب الدول الأوربية معونتها ، وهى صاغرة أمامها ، ويدخل اليهود فى بلاط السلطان كالشحاذين المتسولين ، ويطأطئون رؤسهم أمامه ، وينتظر ممثلو الدول الأوربية أياماً ليسعدوا بلقاء الخليفة وأحيانا يعودون بدون اللقاء ، تلك تركيا بالاسلام ، و لم تكن تركيا مجموعة لأنقرة و استنبول ومدن صغيرة أخرى ، فان لواءها كان يرفرف على كثير من البلدان

الأوربية التى تقف الآن فى صف العواصم ، ولاتزال آثار الوجود التركى موجودة فيها .

أما تركيا اليوم ، بعد أن هجرت الاسلام وطفت عليه ، و انسلخت منه ، فهى عضو متواضع فى حلف شمال الأطلنطى ، اقتصادها محطم وقوتها العسكرية تتكون من صدقات الدول الأطلنطية ، نظام تعليمها مستورد و اقتصادها فى أيدى المرابين الغربيين ، وشعبها مقيد مكبل ، يعيش بدون حريات أساسية ، لم تعقد فيها انتخابات حرة ، و لا يعرف العالم أن التركى له شخصيـــة وقيمة و وزن ، إنه تركى ترك كل مقوماته ، وطغى على ماضيه الذى يرعب العالم ، ونسى درسه بل نسى نفسه ، ليست له رسالة ، و ليست له سياسة حرة ، و إنما أصبحت بلاده اقطاعاً من اقطاعات الدول الأوربية ، أليست هذه مؤامرة ، مؤامرة خيانة ضد البلاد ، ارتكبها قادة تركيا ، و لا يزال يرتكبها كل من يتولى الحكم فى تركيا ، ويعزل الاسلام عن البلاد ؟

لقد شقيت تركيا كثيراً بالانسلاخ عن الاسلام و خسرت كثيراً ، فانكمشت وتقلصت و هى غير قادرة على حل مشاكلها فضلا عن أن تحل مشاكل غيرها .

و كذا تستطيع الشعوب و القيادات فى كل بـــلد إسلامى ، كان له تاريخ مجيد ، فى عهـــده الاسلامى أن تقارن بين ما كسبته و ماذا خسرته ، بالاسلام و بغير الاسلام .

و لا يصعب على المهتمين بالتـــاريخ أن يقارنوا ، فليس ذلك لغزاً ، فان الحدود واضحة ، والأضواء لامعة ، ويجد كل دارس خطاً فاصلا بين العهدين ، ويجد فارقاً كبيراً فى الحجم و الضخامـــة وفى القوة ، و العزة و الرعب ، بين مصر بالاسلام و مصر بغير الاسلام ، وبغداد بالاسلام و بغداد بغير الاسلام ، ودمشق بالاسلام ودمشق بغير الاسلام ، ولكن الذى لايميز بين الصبح و الظلام لايستطيع أن يعتبر و يميز بين كائنين ، إنه يحتـــاج إلى شعور ووعى وقوة تمييز ، و غيرة قومية ، ونمو عقلى ، أما الذهن الجامد فيظل دائماً تابعاً ويبقى فى مؤخر الركب .

بيان سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

على وفاة الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى الشيخ محمد على الحركان

نعت وكالات الأنباء معالى الشيخ محمد على الحركان الأمين العام الثالث لرابطة العالم الاسلامى و هى أكبر جمعية عالمية إسلامية و أعظمها تعاوناً فى قضايا الاسلام و المسلمين على الصعيد العالمى ، توفى الشيخ رحمه الله تعالى فى يوم الجمعـــة السابع من رمضان بعد قضائه حياة حافلة بجلائل الأعمال و عظيم النشاطات لدعم الجهود المبذولة فى العالم الاسلامى للاسلام و المسلمين ، ولذلك تعد وفاته حادثاً عظيماً فى مجالات العمل الاسلامى الذى كانت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة تقوم به ، فقد ساهم الشيخ رحمه الله فى نشاطات الرابطة الاسلامية إلى أقصى البقاع من قارات العالم وبالخصوص عن طريق المجلس الاسلامى العالمى للمساجد التابع لرابطة العالم الاسلامى فقد جندت الرابطة الكريمة إمكانياتها الواسعة لمساعدة المساجد المحتاجة إلى التعاون المادى فى بقاع العالم ، فى عدد يصعب عدها ، ونالت مساجد الأقطار التى لا تتمتع بالحكومات الاسلامية بمساعدات الرابطة بصورة خاصة ، وأنشأت الرابطة الكريمة المجالس القارية للمساجد فى مختلف أنحاء العالم التى تنشد خدمة رسالة المساجد وتسهر على حاجات الاسلام و المسلمين عن طريق المساجد ، كما قوى تمثيل الرابطة الكريمة ، وسمع لها صوت قوى فى النطاق الدولى ، وذلك كلما اقتضت حاجة الشعوب الاسلامية ، أو تعرقلتها قضايا للاسلام أو المسلمين .

هذا عدد من المنجزات الاسلامية للرابطة الكريمة كانت فى عهد الشيخ محمد على الحركان ، تقبل الله منه هذه الجهود ، وغفر له مزلاته ، ورزق رابطة العالم الاسلامى خلفاً يقوم بحمل مسئوليات هذه الجمعية الاسلامية الكبيرة خير قيام ، كما رزقها إياه

خلفاً للأمين العام السابق معالى الشيخ محمد صالح القزاز الذى كان له فى تثبت دعائم الرابطة ، وتوسيع نطاق عملها ، ورفع قيمتها وشهرتها سهم لا ينسى ولا يستهان به ، فقد كان عند ضخامة مسئولية منصبه الجليل كذلك ، ولقد تمتعت بالصداقة مع كليهما.

حصلت لى المعرفة مع المرحوم الشيخ محمد على الحركان منذ أن كان مدرساً للحديث الشريف فى المسجد النبوى الكريم و ذلك فى عام ١٣٦٦ هجرية عند ما سعدت بالحج والزيارة ، ثم تبادلنا الزيارات وتوثقت الصداقة بيننا حتى انتقل فضيلة المرحوم إلى جدة و أسند إليه منصب القاضى فى جدة ، و لما سعدت بالحجة الثانية حصلت لى لقاءات معه ، و اختير عضواً فى رابطة العالم الاسلامى بعد تأسيسها ، و كنت كذلك عضواً فيها ، فكنت أتمتع بالاجتماع معه فى جلسات الرابطة و قد أتبادل معه الآراء فى القضايا المطروحة فى الرابطة ، ثم انتقل فضيلته إلى منصب وزير العدل فى المملكة وأخيراً إلى منصب الأمين العام ، لرابطة العالم الاسلامى بعد استقالة معالى الشيخ محمد صالح القزاز عنه لأسباب صحية .

لقد وجدت فى فضيلة الشيخ محمد على الحركان عالماً كبيراً راسخاً فى العلم ضليعاً و كان انتقاله لقضاء جدة سبباً أيضاً لضخامة معرفته و تجربته العلمية فى الشريعة و الفقة ، وكان عمله الكبير يظهر فى القضايا الاسلامية المطروحة فى الرابطة ، ولولم تكن مسئوليته العملية فى وزارة العدل ثم فى الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى التى شغلته عن التأليف و الكتابة لظهرت آثاره العلمية القيمة عن طريق الكتب و الرسائل و البحوث العلمية .

فحينما نعته وكالات الأنباء و صادقت برقية الأمين العام بالنيابة على صحة الخبر فقد نعت عالماً جليلا من علماء المسلمين وشخصية جليلة اسلامية كبيرة كذلك لا مجرد رجل يشغل منصباً اسلامياً تنفيذياً كبيراً .

و إنى أقدم للأسباب التى ذكرتها أصدق مشاعر أسفى على هذا الحادث ، و أدعو الله تعالى له بالمغفرة و الرضوان ، ولذويه و آله بالصبر و السلوان .

الحركان ، إلى رحمة الله

الأستاذ محمد محمود حافظ

انتقل إلى رحمة الله الواسعة صباح يوم الجمعة الموافق السابع من شهر رمضان لعام ١٤٠٣ هـ الشيخ محمد بن على الحركان أمين عام رابطة العالم الاسلامى عن عمر يناهز السبعين عاماً غفر الله له و رحمه و أجزل له الثواب .

فقد كان رحمه الله من العلماء الذين تربوا على جيل من المشايخ فى مسجد رسول الله ﷺ وتتلمذ عليهم فى مختلف علوم الشريعة حيث حفظ القرآن الكريم و عمره سبع سنوات و تعلم فى مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة حيث ولد على تلك الأرض الطاهرة و تلقى تعليمه فى المسجد النبوى على يد الشيخ الطيب الأنصارى .. وأيضاً الشيخ توفيق والد معالى الشيخ محمد عمر توفيق الوزير السابق .. ومن مشايخه أيضاً الشيخ محمد الشمبكتى حيث تفرغ لطلب العلم منذ عام ١٣٤٢هـ.

و يعتبر الشيخ الحركان من علماء هذه البلاد المشهود لهم بالعلم و هو عضو هيئة كبار العلماء كما أنه أول وزير للعدل فى المملكة .

و شغل عدة وظائف رحمه الله .. منها الوظيفة الأخيرة كأمين عام لرابطة العالم الاسلامى و كان ذلك فى شهر ذى القعدة من عام ١٣٩٦هـ بعد استقالة معالى الشيخ الصالح محمد صالح القزاز أمده الله بالصحة و العافية .

وفى عهد الشيخ الحركان تحققت إقامة المجالس المحلية للساجد فى العالم وكذلك المجالس القارية للساجد وكان آخر مجلس افتتحه بنفسه فى مطلع هذا العام هو المجلس القارى للساجد فى آسيا ومقره جاكرتا العاصمة الاندونيسية ، ورغم كبر سنه ومعاناته من بعض الأمراض إلا أنه رحمه الله كان حريصاً على أن يقوم بزيارة الجاليات

الاسلامية فى أوروبا وآسيا ويتفقد بنفسه مشاريعهم ويسهم فى مساعدتهم و لا شك أنه اعطى الكثير من صحته لعمله حتى إنه فى الأيام الأخيرة من عمره و رغم مرضه كان يحرص على أن يطلع إلى مكة المكرمة ليزاول أعماله بنفسه رغم الارهاق الذى يبدو على جسمه و المرض الجاثم على قلبه .

رحم الله الشيخ الحركان وعوض الرابطة و العمل الاسلامى رجالا يواصلون المسيرة لهذه المؤسسة الاسلامية العالمية حتى تواصل تقديم العطاء لهذه الدعوة .

و إنا لله و إنا إليه راجعون .

حزب التحرير ينعى الشهداء إلى الأمة

والله ما نقم بعض أعداء الله ورسوله والمسلمين، من شباب حزب التحرير ، ألا إنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد ، ويعملون لاعادة حكم الله إلى الأرض ، وحمل الاسلام رسالة إلى العالم ، عن طريق إقامة الخلافة .

إن حزب التحرير فى هذا الشهر الفضيل — شهر رمضان المبارك ، شهر القرآن ، شهر التضحية و البذل و الفداء ، الشهر الذى سقط فيه أول الشهداء من الصحابة الكرام ، فى معركة بدر الكبرى — ينعى إلى الأمة الاسلامية ثلاثة عشر شهيداً من شبابه ، من ليبيا والأردن وفلسطين ، أعدمهم وقتلهم الظالمون ، المتعطشون لسفك الدماء ، فى بعض الدول العربية ، قال رسول الله ﷺ « سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى أمام جائر فأمره ونهاه فقتله » وهؤلاء الشهداء هم : ناصر سريس ، وعلى أحمد عوض الله ، وبديع حسن بدر ، ونمر خالد خميس ، وعبد الله حموده ، و عبد الله المسلاتى ، و الكردى ، و صالح النوال و ابن أخته ، و محمد مهذب

حفاف ، و قد جرى إعدام هؤلاء فى المدارس و الجامعات ، أمام الأساتذة و التلاميذ ، و أمام أهليهم و أولادهم ، وقد أنزل أحدهم ، و فيه بقية من رمق بعد إعدامه ، فأعادوا تعليقه ثانية ، ثم أنزلوه و ربطوه بسيارة فأخذت تجره خلفها ، على مشهد من أهله و أولاده ، و على مشهد من الأساتذة و التلاميذ .

أما الثلاثة الآخرون و هم : ماجد القدسى الدويك ، و محمد بيومى ، و الفاقورى ، فقد قتلوا تعذيباً من قبل المخابرات فى طرابلس .

و كل جريمة هؤلاء الشباب الثلاثة عشر ، أنهم من حزب التحرير ، و أنهم يحملون الاسلام ، و يعملون لاقامة الخلافة الاسلامية ، فقد أصبح حمل الاسلام اليوم ، و العمل لاعادة حكم الله إلى الأرض جريمة عند حكام المسلمين ، الظالمين الفسقة الفجرة ، و عبد الله المسلاتى كان محكوماً بالسجن عشرين عاماً من سنة ٧٣ قضى منها فى السجن عشر سنوات ، فأحضروه من السجن إلى المحكمة ، بتهمة أنه حزب شخصاً فى حزب التحرير ، و هو فى السجن ، فحكمت عليه المحكمة بالاعدام مقابل ذلك .

و قدمهم الظالمون بتهمة العمل لقلب نظام الحكم .

و الذى دفع أعداء الله على ارتكاب هذه الجريمة النكراء ، و المجزرة الشنيعة هو حقدهم على حزب التحرير ، من جراء قيام حزب التحرير بارسال وفد من شبابه إلى أحد زعماء العرب ، يناقشونه فيما أعلنه من إنكاره لحجية أحاديث رسول الله ﷺ ، فجلسوا معه أربع ساعات ناقشوه فيها ، و بينوا له أن أحاديث رسول الله ﷺ مثل القرآن ، أدلة شرعية ، يجب الأخذ بها ، كما بينوا له أن منكر حجية أحاديث الرسول كافر ، و كان الحزب قد حمله مذكرة بذلك ، ثم أن الحزب قد طبع هذه المذكرة ، و وزعها على المسلمين ، فى العالم الاسلامى فاغتاظ عدو الله

و عدو رسوله من ذلك ، و جن جنونه ، فحقد على الحزب هذا الحقد اللئيم ، الذى دفعه على سفك الدماء الزكية لهؤلاء الشباب الأطهار البررة ، و الله نسأل أن يجعل دمهم دم شهادة ، و أن يجزيهم عن الاسلام و المسلمين خير الجزاء ، و أن يعلى منزلتهم و أن يجعلهم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين ، و حسن أولئك رفيقاً ، و أن يعظم الله لنا و لأهلهم الأجر ، و أن يلهمنا و إياهم الصبر ، كما نسأله تعالى أن يجعل دمهم بشير خير للاسلام و المسلمين و أن يكون تباشير للنصر و إقامة الخلافة ، و لاشراق نور الاسلام و عودته إلى واقع الحياة .

و إننا شباب حزب التحرير نقول لأعداء الله و أعداء رسوله و أعداء المسلمين أن دم هؤلاء الأبرار لعنة أبدية عليكم ، وأن سفك هذه الدماء الزكية الطاهرة لن يزيدنا إلا عزماً و تصميماً ، و لن يزيدنا إلا إيماناً بالله و ثقة بقرب نصره ، و عند ذلك سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

و إلى الله نضرع أن ينزل لعنة تترى على أعدائه ، وأن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، و أن ينتقم لنا منهم بنفسه ، و أن يجعل ذلك قريباً بقيام دولة الخلافة ، و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون .

العدد الرابع

سيصدر باذن الله تعالى فى شهر ذى الحجة ١٤٠٣هـ ويبدأ به العام الهجرى الجديد إن شاء الله تعالى ، عام ١٤٠٤هـ ، فلا يترقب القراء عدد ذى الحجة ١٤٠٣هـ .

[التحرير]